تأملات قرآنية حول التقوى

سماحة العلامة
السيد صدر الدين القبانچي
«دامت بركاته»

إعداد وتحقيق

مكتب إمام جمعة النجف الأشرف

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشر:

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه وخاتم رسله وأمينه على وحيه، الرسول الأمجد أبي القاسم محمّد ﷺ، وعلى أخيه وابن عمّه ووصيّه على أمّته، إمام المتّقين وقائد الغرّ المحجّلين أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وعلى أبنائه الميامين الطاهرين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً.

الحديث عن التقوى فكرةً وسلوكاً حديث شيّق وهام في عصر تتكاتف فيه قوى الضلالة على مصادرة عقائدنا الإسلاميّة _ وأهمّها التقوى _ في محاولةٍ منها لسلب جماهيرنا المؤمنة الملتزمة أثمن وأخطر أسلحتها: «التقوى»، السلاح الذي أمكنها بواسطته أن تكتسح يوماً ما عروش كسرى وقيصر، دون أن تُعير اهتماماً لكنوز كسرى وقيصر، ودون أن يجتذب اهتمامها بريق تاج كسرى وقيصر، فتاج التقوى الذي تزدان به هامات المؤمنين كسف لمعان وبريق ذهب التيجان وجواهرها.

التقوى _ إذاً _ هي المَلَكة الأثمن والأعظم، ولم لا وهي الشرط الأساس لقبول الأعمال ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾؛[1] وكيف لا وهي المؤهّل لمحبّة الله عزّ وجلّ ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾؛[2] ناهيك عن الأجر العظيم الذي ينتظر المتّقين، وقد قال تبارك وتعالى: ﴿وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا

(1) المائدة: ٢٧.

(2) التوبة: ٤.

فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.[1]

والكتاب الذي بين يدينا باقة عطرة فوّاحة تشتمل على تأمّلات قرآنيّة حول التقوى أُلقيت في خطب صلاة الجمعة لأكثر من عام من قِبل سماحة العلاّمة الحجة السيد صدر الدين القبانچي حفظه الله، ضمّنها عرضاً قرآنياً عن أبعاد التقوى وإشاراتها ودلالاتها، وتطرّق فيها إلى انعكاسات التقوى على مستوى الفرد والمجتمع، مؤكّداً على آثار التقوى وفوائدها، ومعرّجاً على مقامات المتّقين والبشارات الواردة في حقّهم، مصوّراً _ أبدع تصوير _ تجلّيات التقوى وصورها ومصاديقها في العدل والوفاء بالعهد والصدق.

ويسرّ مكتب إمام الجمعة في النجف الأشرف _ وهو يرى أنّ هذا الكتاب يمثّل أحد الردود الهامّة في مواجهة حملة التغريب الشرسة التي تستهدف عقائد المؤمنين وملكاتهم السلوكيّة _ أن يتصدّى لنشر هذا الكتاب وتقديمه في حلّة قشيبة ووضعه في متناول أيدي الاخوة المؤمنين؛ واللهَ تعالى نسأل أن يأخذ بأيدينا إلى ما فيه الخير والصلاح، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

مكتب إمام الجمعة في النجف الأشرف

(1) آل عمران: ١٧٩.

تقديم:

بسم الله، والحمد لله، والصلاة على رسوله وآله الأطهار.

وبعد:

فهذه مجموعة من التأملات القرآنيّة التي تناولناها بالحديث في خطبة صلاة الجمعة خلال أكثر من عام،[1] حيث يجب على إمام وخطيب الجمعة أن يضمّن خطبته الوصية بتقوى الله تعالى.

وقد كان منهجنا في هذه الخطب أن نتناول عرضاً قرآنياً عن التقوى ونقف بعد ذلك متأملين أبعاده وإشاراته ودلالاته التي قد لا تبدو واضحة لدى القراءة الأولى للآيات القرآنية، لكن التأمل في تلك الآيات القرآنية يكشف لنا حقائق جميلة تخص موضوع التقوى.

* * *

ولقد رأينا مفيداً أن توضع مجموعة تلك التأملات في كتاب يكون بيد السادة العلماء من أئمة الجمعة والجماعة ثم بيد عموم القراء الأعزاء للاستفادة منه.

هذا وقد جهد بعض إخوتنا الكرام في إعداد هذه المقاطع من خُطب الجمعة فيما قمنا نحن بإعادة ترتيبها، والإضافة إليها أحياناً، وضمّ بعضها إلى بعض، وتقديم بعضها على بعض لتخرج في نسق واحد مترابط.

(١) بدءاً من ٨ رجب ١٤٢٤هـ وحتى ١٠ ذي الحجة ١٤٢٥هـ.

* * *

هذا ويهمني الإشارة إلى أن ما جاء في هذه التأملات هو مجرد وضع اليد على مفاتيح، ورسم إضاءات في الطريق، حيث يمكن للسادة الفضلاء الخطباء والباحثين أن يتوسعوا ويتعمقوا فيها، ويجعلوا من كل تأمل بحثاً كاملاً مليئاً بالشواهد القرآنية والنصوص الروائية والقصص التاريخية ثم يقدّموها للقاري والسامع أكثر لمعاناً ووضوحاً وعمقاً.

٤ / ذو الحجة / ١٤٢٥هـ

صدر الدين القبانچي

التأمل الأول:

التقوى سبيل الفلاح

قال الله تعالى في كتابه الكريم: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.[1]

هذه الآية تتضمن أمراً بثلاث قضايا:

الأولى: تقوى الله.

الثانية: ابتغاء الوسيلة إلى الله.

الثالثة: الجهاد في سبيل الله.

وستكون النتيجة بعد التقوى وبعد اتخاذ الوسيلة، وبعد الجهاد في سبيل الله هي الفلاح، ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، إذن نحن مطالبون من أجل فلاحنا في الدنيا والآخرة بقضايا ثلاث:

القضية الأولى:

تقوى الله، التي تعني الورع عن محارم الله، والابتعاد عن معاصيه.[2]

القضية الثانية:

---

(١) المائدة: ٣٥.

(٢) سئل الصادق عليه السلام عن التقوى فقال: «أن لا يفقدك الله حيث أمرك، ولا يراك حيث نهاك» بحار الأنوار/ ج ٧٠/ ص ٢٨٥.

ابتغاء الوسيلة إلى الله.

الإنسان كيف يكون متقياً، كيف يصل إلى الله تعالى بدون وسيلة وطريق وذريعة؟ القرآن الكريم يقول: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾.[١]

ما هي الوسيلة؟

ما هو الطريق؟

ما هو الحبل المتصل بيننا وبين الله تعالى؟

إن الأنبياء، الرسل، الأئمة الأطهار هم الوسيلة إلى الله تعالى، «فجعلتهم الذريعة إليك، والوسيلة إلى رضوانك».[٢]

الأنبياء هم الوسائط بيننا وبين الله تبارك وتعالى، ولا يمكن أن يصل أحد إلى الله عن غير طريق الأنبياء، ولا يمكن أن يكسب أحد رضوان الله بغير طريق الأنبياء والأوصياء.[٣]

عبادة إبليس:

في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام: «إن إبليس عبد الله ستة آلاف عاماً لا يُدرى أمِن سنيّ الدنيا أم من سنيّ الآخرة، ولكن حينما

(١) المائدة: ٣٥.

(٢) كما جاء في دعاء الندبة المعروف.

(٣) عن الإمام الباقر عليه السلام: «إنما يعبد الله من يعرف الله، فأمّا من لا يعرف الله فإنما يعبده هكذا ضلالاً.
قال السائل: قلتُ جعلت فداك، فما معرفة الله؟
قال عليه السلام: تصديق الله عزّ وجلّ، وتصديق رسوله صلى الله عليه وآله، وموالاة علي عليه السلام، والائتمام به وبأئمة الهدى عليهم السلام، والبراءة إلى الله عزّ وجلّ من عدوّهم، هكذا يُعرف الله عزّ وجلّ» الكافي/ ج١/ كتاب الحجة ص ١٨٠.

أمره الله بالسجود إلى آدم، قال: إلهي اعفني من هذا التكليف وسأعبدك عبادة لم يعبدك أحدٌ مثلها، فقال الله سبحانه وتعالى له: أحب أن أُعبد كما أُريد لا كما تريد أنت».[١]

الله يقول أنا أُشخّص طريق العبادة والوسيلة إليّ، ولا يمكن للإنسان مهما كان فاهماً عالماً فيلسوفا زاهداً أن يصل إلى رضوان الله عن غير طريق الأنبياء والأولياء والأوصياء «ابتغوا إليه الوسيلة».

نحن نعتقد أن وسيلتنا هم الأنبياء والأوصياء والأئمة الأطهار عليهم الصلاة والسلام، إنهم الحبل المتصل بين الأرض والسماء، هم العروة الوثقى، هم سفينة النجاة من ركبها فقد نجى ومن تخلف عنها غرق وهوى.

القضية الثالثة:

﴿وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ﴾ **الجهاد في سبيل الله هو القضية الثالثة.**

الأمل بالفلاح:

﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ بعد أن نكون من الأتقياء وبعد أن نختار الوسيلة ونجاهد في سبيل الله تكون النتيجة هي الفلاح كما قال تعالى

(١) في بحار الأنوار - ج٢ الباب ٣٢ بالإسناد إلى الصدوق عن الصادق عليه السلام: أمر إبليس بالسجود لآدم فقال: يا رب وعزتك إن اعفيتني من السجود لآدم لأعبدنك عبادة ما عبدك أحد قط مثلها، قال الله جلّ جلاله: إني أحب أن أطاع من حيث أريد.
وفي نهج البلاغة ج٢/ ١٣٩/ خ١٩٢. خطبة القاصعة: فاعتبروا بما كان قد فعل الله بإبليس إذ أحبط عمله الطويل وجهده الجهيد، وكان قد عبد الله ستة آلاف سنة لا يدرى أمن سني الدنيا أم سني الآخرة...

﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، حيث يقول المفسرون أن كلمة «لعلّ» وإن كانت في اللغة تأتي للدلالة على الرجاء ولكن حينما تأتي في القرآن الكريم تأتي بمعنى التأكيد على تحقق النتيجة.

طالما أكد القرآن الكريم أنكم إذا أردتم الفلاح والنجاح والنجاة فالتقوى هي الطريق.

قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.[١]

﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.[٢]

﴿وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.[٣]

﴿ذلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.[٤]

بشرى للشيعة:

أروي لكم هذه الرواية وفيها بشرى لشيعة أهل البيت عليهم السلام وهم المتقون المفلحون الفائزون الناجون، الرواية عن إمامنا المنتظر عليه السلام كما يرويها المحدث النوري أعلى الله مقامه في كتابه «جنة المأوى» حيث يقول عليه السلام:

«اللهم إن شيعتنا خُلقوا من شعاع أنوارنا وبقية طينتنا، وقد فعلوا ذنوباً كثيرة اتكالاً على حبنا وولايتنا، فإن كانت ذنوبهم فيما بينك

(١) البقرة: ١٨٩.

(٢) الجمعة: ١٠.

(٣) الحج: ٧٧.

(٤) الروم: ٣٨.

وبينهم فأصفح عنهم فقد رضينا عنهم، وما كان منها فيما بينهم فأصلح بينهم وقاصٍ بها عن خُمسنا، وأدخلهم الجنة وزحزحهم عن النار، ولا تجمع بينهم وبين أعدائنا في سخطك»[١] نسأل الله أن يجعلنا من المتقين والمفلحين وأن يميتنا على محبتهم وولايتهم.

* * *

(١) في بحار الأنوار ج٥٣ ص٣٠٢ ح حكاية ٥٥، وفيها: شيعتنا خلقت.

التأمل الثاني:

التقوى سبيل النجاة

جاء التأكيد في آيات قرآنية أخرى على أن التقوى سبيل النجاة، فقد بشَّر المتقين بالنجاة يوم القيامة وفي الدنيا أيضا.

النجاة يوم القيامة:

أمّا النجاة يوم القيامة فقد قال تعالى:

﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.(١)

الله تبارك وتعالى يبشر المؤمنين بأنهم يوم القيامة من الناجين، وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم _ يعني بفوزهم _ لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون.

النجاة في الدنيا:

هذا يوم القيامة لكن القرآن الكريم يبشرنا بالنجاة في الدنيا أيضاً، يعني أن الإنسان صاحب التقوى صاحب الإيمان هو في الدنيا أيضاً من الناجين وذلك كما في قوله تعالى:

﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي

---

(١) الزمر: ٦١.

الظُّلُمات أَنْ لا إلـهَ إلاَّ أَنْتَ سُبْحانَكَ إِنّي كُنْتُ مِنَ الظَّالمينَ فَاسْتَجَبْنا لَهُ وَنَجَّيْناهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذلكَ نُنْجِي الْمُؤْمنينَ﴾.(١)

هذه النجاة التي كتبها الله تعالى لنبيه يونس عليه السلام هي غير النجاة في الآخرة، هي النجاة في الدنيا، فنجيناه من الغم غمّ الدنيا مشكلات الدنيا، ثم يقول تعالى أيها المؤمنون وأبشركم أيضاً ﴿وَكَذلكَ نُنْجِي الْمُؤْمنينَ﴾، أنتم آمنتم، إذن حققكم على الله تبارك وتعالى أن ينجيكم من هموم الدنيا وغمها ومشكلاتها.

دعاء يونس عليه السلام:

رسول الله صلى الله عليه وآله يقول فيما روي عنه: «إن اسم الله الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى، هو دعاء النبي يونس عليه السلام: «لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين».

فقالوا: يا رسول الله هذه الآية وهذه الجملة التي تلخص اسم الله هي ليونس خاصة؟

قال صلى الله عليه وآله: هي ليونس خاصة وللمؤمنين إذا دعوا بها.

ألم تسمع قول الله: ﴿وَكَذلكَ نُنْجِي الْمُؤْمنينَ﴾ فهو شرط من الله لمن دعاه»(٢) يعني أن الله سبحانه وتعالى شرط على نفسه وأخذ على نفسه أن إذا دُعي بهذا الدعاء أجاب ﴿وَكَذلكَ نُنْجِي الْمُؤْمنينَ﴾.

---

(١) الأنبياء: ٨٧.

(٢) تفسير الميزان/ الطباطبائي/ ج١٤، ص ٣١٩ تفسير الآية.

أوصاف يوم القيامة:

ذلك اليوم يوم عظيم ﴿أَلا يَظُنُّ أُولئكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظيمٍ * يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعالَمينَ﴾.(١)

ذلك اليوم هو يوم ثقيل:

﴿إِنَّ هؤُلاءِ يُحِبُّونَ الْعاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَراءَهُمْ يَوْماً ثَقيلاً﴾.(٢)

يوم القيامة يوم الحسرة:

﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ﴾.(٣)

ذلك اليوم هو يوم الندامة على ما فرط الإنسان في عمره وشبابه وماله، ولا فائدة ولا عودة ولا رجعة.

﴿يَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلى يَدَيْهِ﴾.(٤)

ذلك اليوم هو يوم عبوس كئيب.

﴿إِنَّا نَخافُ مِنْ رَبِّنا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً﴾(٥) **إنه يوم كئيب ويوم عبوس.**

هذه أوصاف يوم القيامة في القرآن الكريم.

ما الذي يحدث ذلك اليوم؟

عدة حقائق مهولة وعظيمة وكبرى تحدث ذلك اليوم.

---

(1) المطففين: ٤ - ٦.

(2) الإنسان: ٢٧.

(3) مريم: ٣٩.

(4) الفرقان: ٢٧.

(5) الإنسان: ١٠.

الحقيقة الأولى: هي أن هناك إحصاءً كاملاً يقدم للإنسان بما قدّم وأخّر ﴿يُنَبَّؤُا الْإِنسانُ يَوْمَئِذٍ بِما قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾.[١]

الحقيقة الثانية: أنه يوم يجمع فيه الله الرسل، فيقول ماذا اجبتم؟ يجمع الله ١٢٤ ألف نبياً ورسولاً ليشهدوا على أممهم ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ ما ذا أُجِبْتُمْ قالُوا لا عِلْمَ لَنا﴾[٢] **إلهنا أنت أعلم منا، لا حاجة لأن نشرح ماذا لقينا من الناس أو نشهد على مؤمن أو كافر** ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ﴾.

الحقيقة الثالثة: محاولات الدفاع ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجادِلُ عَنْ نَفْسِها﴾[٣] **فكل إنسان يدافع عن نفسه، حتى الأنبياء بمقتضى هذا العموم القرآني.**

الحقيقة الرابعة: حضور الأعمال ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً﴾[٤] **فعمل الخير يجده الإنسان أمامه** ﴿وَما عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَها وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً﴾.[٥]

الحقيقة الخامسة: حضور الأمم مع قادتهم. ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُناسٍ بِإِمامِهِمْ﴾[٦] **إمام هدى أو إمام ضلال، هناك تجتمع الأمم، كل أمة يكون معها إمامها الذي كان في الدنيا.**

---

(1) القيامة: ١٣.
(2) المائدة: ١٠٩.
(3) سورة النحل: الآية ١١١.
(4) آل عمران: ٣٠.
(5) السابق.
(6) الإسراء: ٧١.

الحقيقة السادسة: صحائف الأعمال في يوم القيامة، يكون مع كل انسان كتابه، بيمينه أو بيساره أو وراء ظهره ﴿وَكُلَّ إِنسانٍ أَلْزَمْناهُ طائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ كِتاباً يَلْقاهُ مَنْشُوراً اقْرَأْ كِتابَكَ كَفى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً﴾.[١]

الحقيقة السابعة: شهادة الجوارح: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلى أَفْواهِهِمْ﴾[٢] **فلا يتكلم الإنسان إلا من أذن له الرحمن** ﴿وَتُكَلِّمُنا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ﴾.[٣]

الحقيقة الثامنة: الفزع الأكبر أنه يوم الأهوال المخيفة. ﴿يَوْمَ تَرَوْنَها تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾[٤] **فلو كان للأم رضيع فإنها تلقيه وتذهل عنه لشدة أهوال يوم القيامة.**

الحقيقة التاسعة: انقطاع المال والبنين ﴿يَوْمَ لا يَنْفَعُ مالٌ وَلا بَنُونَ * إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾.[٥]

حال المؤمن يوم القيامة:

ذلك اليوم يكون المؤمنون في سرور وابتهاج وفرح رغم أنه يوم الأهوال والشدائد.

المؤمنون لهم حساب خاص ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ﴾.[٦]

---

(1) الإسراء: ١٣ و١٤.
(2) يس: ٦٥.
(3) السابق.
(4) الحج: ٢.
(5) الشعراء: ٨٨ و٨٩.
(6) إبراهيم: الآية ٢٣.

﴿فَوَقاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذلكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً﴾.[١]

﴿إِنَّ أَصْحابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فاكِهُونَ﴾.[٢]

﴿مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْها وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾.[٣]

الحسنة هي الإيمان والتوحيد والولاية. قال رسول الله ﷺ: «حب علي حسنة لا تضر معها سيئة»[٤] وقال ﷺ: «ادخرت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»،[٥] اللهم اجعلنا من الآمنين ذلك اليوم، يوم الفزع الأكبر، ومن الفائزين ومن الناجين، اللهم اجعل قلوبنا تذكرك ولا تنساك، وتخشاك كأنها تراك حتى تلقاك بقلب سليم. اللهم اجعل قلوبنا عامرة بذكرك، اللهم اجعل لساني بذكرك لهجاً، وقلبي حبك متيماً.

* * *

(1) الإنسان: الآية ١١١.

(2) يس: الآية ٥٥.

(3) النمل: الآية ٨٩.

(4) غوالي اللئالي: ج٤، ص٨٦، ح١٠٣.

(5) التبيان/ الطوسي: ج١، ص٢١٣.

التأمل الثالث:

البشرى للمتقين

من عطاءات التقوى كما يحدثنا القرآن الكريم الإطمئنان في الدنيا وفي الآخرة، ذلك قوله تعالى: ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِياءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.[١]

وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرى فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَفِي الْآخِرَةِ لا تَبْدِيلَ لِكَلِماتِ اللَّهِ ذلكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.[٢]

الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم بشرى في الدنيا وبشرى في الآخرة وهي ﴿لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾. إشارة إلى حالة الإطمئنان والإستقرار والرضا بقضاء الله وقدره. فهم في الآخرة لا يحزنون، وهم في الدنيا لا يُخاف عليهم من الفشل والإخفاق؛ لأن الله تعالى هو ناصرهم ووليّهم.

لاحظوا هنا أن الآية لا تقول: «لا يخافون» ذلك أنهم ربما يخافوا كما يحدث لكثير من المؤمنين وحتى الأنبياء عليهم السلام أيضاً وإنما

(١) يونس: ٦٢.

(٢) يونس: ٦٣.

قالت (لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ)[1] بمعنى أنه لا يُخاف عليهم، كما تقول أنت مثلاً لأحد أولادك إذهب فلا خوف عليك فإن الولد ربما يخاف ولكنك لا تخاف عليه، هكذا المؤمنون فإنهم لا خوف عليهم.

(١) في عشر مواضع من القرآن الكريم جاءت الآية هكذا:
﴿لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ولم يأت ولا مرة واحدة بصيغة «لا يخافون ولا يحزنون» مما يعطي دلالة خاصة قد أشرنا إليها أعلاه.
لكن العلامة الطباطبائي في الميزان حاول أن يقدم تفسيراً آخر لنفي الخوف عن الأنبياء والأولياء.
قال: «وليس معنى ارتفاع الخوف من غير الله والحزن عن الأولياء أن الخير والشر والنفع والضرر والنجاة والهلاك والراحة والعناء واللذة والألم والنعمة والبلاء متساوية عندهم ومتشابهة في إدراكهم، فان العقل الإنساني بل الشعور العام الحيواني لا يقبل ذلك.
بل معناه أنهم لا يرون لغيره تعالى إستقلالاً في التأثير أصلاً، ويقصرون الملك والحكم فيه تعالى فلا يخافون إلا إياه أو ما يجب الله ويريد أن يحذروا منه أو يحزنوا عليه» الميزان/ ج١/ ص٨٨.
هذا ولكن هذا التفسير الذي هو أقرب إلى التأويل لا مبرر له بعدما عرفنا أن الآيات القرآنية جميعها لم تقل: (لا يخافون) إنما قالت: ﴿لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ فإن هذا التأكيد على هذه الصياغة من الإستعمال في جانب الخوف، بينما التأكيد على صياغة «لا يحزنون» في جانب الحزن يؤكد أن هناك فرقاً بين الخوف والحزن بالنسبة للأولياء، فالخوف ليس منفياً عنهم، بل منفي عليهم وفرق بينهما كبير بين كلمة (عنهم) وكلمة (عليهم)، كما هناك فرق بين (لا يحزنون) للمستقبل وبين (لا خوف عليهم) للحال، الأمر الذي يجعلنا ندرك بوضوح ما هو المعنى المقصود كما أشرنا إليه وليس كما يذكره العلامة الطباطبائي والله العالم.

وأما قوله «لا يحزنون» فقد يقول قائل أن المؤمنين يحزنون في الدنيا لمصائب تصيبهم فكيف قال تعالى «لا يحزنون».

الجواب: أن نفي الحزن هنا لم يكن على مستوى الدنيا وإنما هو على مستوى الآخرة. فهم في المستقبل لا يحزنون وإن كانوا في الدنيا قد حزنوا كثيراً لمختلف المحن والمصائب.

لا خوف عليهم:

﴿فَمَنِ اتَّقى وَأَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.[1]

هذه الحقيقة تكررت في القرآن الكريم إخباراً من الله تعالى مباشرة في عشر آيات.

أحياناً الملائكة هم الذين يخبرون بهذه الحقيقة، قال تعالى: ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلَّا تَخافُوا وَلا تَحْزَنُوا﴾.[2]

وأحياناً يستبشر المؤمنون في الجنة بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ويخبرون بهذه الحقيقة ﴿أَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾. كما في قوله تعالى: ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.[3]

لكنا نلاحظ أن الله تعالى هو الذي يُخبرنا عن هذه الحقيقة مباشرة في عشر مواضع وتحت مجموعة عناوين قال تعالى:

(١) الأعراف: ٣٥.
(٢) فصلت: ٣٠.
(٣) آل عمران: ١٧٠.

١ ـ ﴿فَمَن اتَّقى وَأَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.(١)

٢ ـ ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.(٢)

٣ ـ ﴿فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.(٣)

٤ ـ ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِياءَ اللهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.(٤)

٥ ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ قالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقامُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.(٥)

٦ ـ ﴿بَلى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.(٦)

٧ ـ ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ثُمَّ لا يُتْبِعُونَ ما أَنْفَقُوا مَنًّا وَلا أَذىً لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.(٧)

٨ ـ ﴿مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صالِحاً فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.(٨)

٩ ـ ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهارِ سِرًّا وَعَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.(٩)

---

(١) الأعراف: ٣٥.

(٢) البقرة: ٣٨.

(٣) الأنعام: ٤٨.

(٤) يونس: ٦٢.

(٥) الأحقاف: ١٣.

(٦) البقرة: ١١٢.

(٧) البقرة: ٢٦٢.

(٨) المائدة: ٦٩.

(٩) البقرة: ٢٧٤.

١٠ ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ وَأَقامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.(١)

الإطار العام هو الولاية:

كل هذه العناوين: التقوى، الإصلاح، إسلام الوجه لله، الإحسان، الإنفاق، الإيمان والعمل الصالح يجمعها القرآن الكريم في إطار واحد هو الولاية، قال تعالى: ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِياءَ اللهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.(٢)

هذا إطار عام ﴿أَوْلِياءَ اللهِ﴾.

من هم أولياء الله؟

يجيب القرآن: ﴿إِنْ أَوْلِياؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ﴾(٣) **ومعنى ذلك أن الخبر الإلهي الذي يتأكد عشر مرات في القرآن الكريم وتحت عدّة عناوين، يتلخص هذا الخبر في أن المتقين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، لأن المتقين هم وحدهم أولياء الله الذي أخبر الله عنهم بالقول:** ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِياءَ اللهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

الشيعة هم أولياء الله:

من ناحية ثانية نجد أن أولياء الله هم الشيعة كما في الرواية الآتية التي جاءت فيها البشارة لشيعة أمير المؤمنين بأنهم أولياء الله.

---

(١) البقرة: ٢٧٧.

(٢) يونس: ٦٢.

(٣) الأنفال: ٣٤.

يقول ابن عباس عن رسول الله ﷺ: «ولاية علي بن أبي طالب ولاية الله ﷻ، وحبّهُ عبادة الله، وإتّباعُهُ فريضة الله، وأولياؤهُ أولياء الله، وأعداؤهُ أعداء الله، وحربه حرب الله، وسلمه سلم الله».[1]

ويقول ﷺ: «من تولاه فقد تولاّني، ومن تولاّني فقد تولى الله، ومن أحبه فقد أحبني، ومن أحبني فقد أحب الله».[2]

النتيجة: أن المقصود في قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ هم أولئك الذين تولوا الحق المتمثل بالله ورسوله وأهل بيته الأطهار عليهم السلام، وهؤلاء هم المتقون والمحسنون والمصلحون والمنفقون والمسلّمون وجوههم إلى الله تعالى كما جاء في العناوين المتعددة التي أشار إليها القرآن الكريم.

ما هي البشرى؟

بعض الروايات تفسر البشرى في قوله تعالى ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بأنها «الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو تُرى له»[3] ولكن الرؤيا الصالحة في المنام هي صورة من صور البشرى، أمّا التعبير القرآني جاء مطلقاً ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ممّا يمكن أن يكون إشارة إلى نصر الله وتوفيقه وتسديده وولايته لأمر المؤمن وهذا كما

(١) بحار الأنوار/ ج ٤٠، ص ٤.
(2) كشف الغمة: ج٢/ ص٣.
(٣) بحار الأنوار ج٦، ص١٤٨ - كذلك تفسير البرهان، وقد ذكرت للبشرى تفاسير أخرى فراجعها في البحار.

جاء من تفاسير أخرى للبشرى. ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾،[1] ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا﴾،[2] ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[3] هذا في الدنيا، أما في يوم القيامة فللمتقين بشرى أخرى هي البشرى بنعيم الجنة الأبدي ذلك هو الفوز العظيم، ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.[4] ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾.

المؤمن عند الموت:

أقرأ لكم هذه الرواية عن إمامنا الصادق عليه السلام التي يرويها الشيخ الكليني في (الكافي): «إن الرجل إذا وقعت نفسه في صدره _ أي ساعة الموت وخروج الروح _ يرى رسول الله ﷺ فيقول له: أبشرْ، ثم يرى علي بن أبي طالب عليه السلام فيقول له: أنا علي بن أبي طالب الذي كنت تحبه أما لأنفعنك اليوم».[5]

يا أمير المؤمنين نحن والله كنا نحبك في الدنيا، نحن شيعتك لم يكن لنا محبوب أعزّ منك ومن ذريتك ومنكم يا أهل بيت النبوة، ونحن ننتظر شفاعتك يوم القيامة.

أنتم أيها المؤمنون كنتم تحبون أمير المؤمنين وسيكون عندكم ساعة الموت ويبشركم وينفعكم يوم لا ينفع لا مال ولا بنون إلا من

(١) البقرة: ٢٥٧.
(٢) غافر: ٥١.
(٣) الروم: ٤٧.
(٤) الشعراء: ٩٠.
(٥) الكافي للكليني/ ج٣، ص١٢٩.

أتى الله بقلبٍ سليم، ولاية علي هي القلب السليم، يقول علي لأنفعنك اليوم، لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

العناوين المبشَّرة:

بشر الله تعالى المؤمنين المتقين المحسنين في أكثر من عشرين آية من القرآن الكريم، حتى أن القرآن الكريم يعتبر مهمة النبي ﷺ هي بشارة المتقين كما في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّما يَسَّرْناهُ بِلِسانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ﴾.

إن إنزال القرآن وإرسال الرسل هو بهدف بشارة المتقين وتخويف المنحرفين ﴿وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْماً لُدًّا﴾ أي أعداءً خصوماً.

لكن هذه البشارة في القرآن الكريم جاءت تحت مجموعة عناوين هي: المخبتين، المحسنين، المسلمين، الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، الذين هاجروا وجاهدوا، الصابرين، وغيرها.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرى فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَفِي الْآخِرَةِ﴾.(١)

وقال تعالى: ﴿فَإِنَّما يَسَّرْناهُ بِلِسانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْماً لُدًّا﴾.(٢)

وقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحاتِ﴾.(٣)

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهاجَرُوا وَجاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولئِكَ هُمُ الْفائِزُونَ * يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوانٍ﴾.(٤)

(١) يونس: ١٣.
(٢) مريم: ٩٧.
(٣) الإسراء: ٩.
(٤) التوبة: ٢٠ و٢١.

وقال تعالى: ﴿وَبُشْرى لِلْمُسْلِمِينَ﴾.(١)

وقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾.(٢)

وقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾.(٣)

وقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾.(٤)

وقال تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾.(٥)

ويتلخص من ذلك أن البشارة إنما هي بسبب هذه العناوين وهي الإيمان، والإسلام، والصبر، والجهاد، والإخبات بمعنى (التواضع لله)، وإتباع القول الحسن، والهجرة، والجهاد، والعمل الصالح، والتقوى.

ولكن «التقوى» هي العنوان الجامع لكل تلك العناوين كما قال تعالى: ﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ﴾.

عناوين للبشرى:

يذكر القرآن مجموعة عناوين لهذه البشارة حيث يقول: أجراً كبيراً، فضلاً كبيراً، مغفرة وأجر كريم، رحمة منه ورضوان وجنات، لهم قدم صدق عند ربهم.

قال تعالى: ﴿وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً﴾.(٦)

(١) النحل: ٨٩.
(٢) البقرة: ١٥٥.
(٣) الحج: ٣٤.
(٤) الحج: ٣٧.
(٥) الزمر: ١٨.
(٦) الإسراء: ٩.

وقال تعالى: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ﴾.[١]

وقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾.[٢]

وقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيراً﴾.[٣]

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾.[٤]

ما معنى قدم الصدق؟

تفسر الروايات ذلك _ كما في تفسير علي بن إبراهيم والعياشي وغيرهما _[٥] بأنه رسول الله ﷺ أي شفاعته، كما في روايات أخرى وكلها بمعنى واحد وهو الشفاعة والولاية، فإن الذين صدقوا في الدنيا لهم قدم صدق عند ربهم، في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

تقول الروايات: «إن الدنيا وما فيها من اليوم الأول لخلقها وحتى آخر يوم فيها لو كانت تعدل عند الله جناح بعوضة لما أعطاها للكافر».[٦] بينما يصف الله الأجر الذي يعطيه للمتقين يوم القيامة بأنه فضل كبير وأجر كريم، فمن الحق أن يعمل الإنسان للتقوى.

---

(١) التوبة: ٢١.
(٢) يونس: ٢.
(٣) الأحزاب: ٤٧.
(٤) يس: ١١.
(5) انظر تفسير العياشي: ج٢، ص١١٩، ح٤ و٥، تفسير علي بن إبراهيم: ج١، ص٣٠٨، مجمع البيان للطبرسي: ج٥، ص١٥٣.
(٦) أنظر تحف العقول/ ابن شعبة: ٤٠.

الجنة هي الثمن:

ففي الرواية: «أنه ليس لأنفسكم ثمن إلا الجنة فلا تبيعوها إلا بها»[١] فإذا كان الأجر العظيم هو مقعد صدق للمتقين أليس من الحق أن نكون من المتقين، المحسنين، المخبتين، والذين آمنوا وعملوا الصالحات، فتكون لنا تلك البشرى العظيمة؟

وفي الرواية عن الإمام علي عليه السلام في صفات المتقين: «صبروا أياماً قليلة أعقبتهم راحة طويلة».[٢] قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ فكم يصبر هؤلاء؟ يقول الإمام علي عليه السلام بأنهم يصبرون أياماً قليلة، فإن الدنيا كلها عبارة عن أيام قليلة ووراءها راحة طويلة فمن الحق أن نكون من الصابرين، ومن العقل أن يكون الإنسان من المتقين أمام ذلك الثمن العظيم، التقوى هي الصبر عن المعاصي، والصبر على الطاعات أياماً قليلة.

أوصيكم عباد الله ونفسي بتقوى الله التي ثمنها الجنة وقدم صدق عند ربهم. أيام الدنيا معدودة وزائلة وفانية. نحن الآن في لهو ولعب ولا حياة هنا وإنما هي في الآخرة، فمن الحق أن نعدّ أنفسنا لعالم الآخرة.

«أيها الناس تجهزوا رحمكم الله فإن... أمامكم عقبة كؤوداً ومنازل مخوفة مهولة لابد من الورود عليها».[٣]

اللهم اجعلنا من المتقين والصابرين والمحسنين، ومن الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

* * *

---

(١) نهج البلاغة: ج٤، ص١٠٥، ح٤٥٦.
(2) نهج البلاغة: ج٢، ص١٦١، الخطبة ١٩٣.
(3) نهج البلاغة: ج٢، ص١٨٣، ح٢٠٤.

التأمل الرابع:

العاقبة للمتقين

قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.(١)

يؤكد القرآن الكريم أن العاقبة للمتقين، هذا المعنى جاء في عدد من الآيات القرآنية، قال تعالى في سورة الأعراف:

﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.(٢)

وقال تعالى في سورة هود:

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾.(٣)

وقال في سورة طه:

﴿لا نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾.(٤)

وقال في سورة القصص:

﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.(٥)

---

(١) القصص: ٨٣.
(٢) الأعراف: ١٢٨.
(٣) هود: ٤٩.
(٤) طه: ١٣٢.
(٥) القصص: ٨٣.

العاقبة الدنيوية والأخروية:

هل المقصود العاقبة للمتقين في الآخرة أم في الدنيا، أم في الدنيا والآخرة معاً؟

بعض الآيات القرآنية صريحة في الإشارة إلى الآخرة تقول: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ﴾[1] لكن بعض الآيات القرآنية ظاهرة في الإشارة للدنيا، يعني ليس المتقون هم الغالبون في الآخرة فقط وإنما في الدينا أيضاً، فمثلاً جاء في سورة الأعراف:

﴿قالَ مُوسى لِقَوْمِه اسْتَعِينُوا بِاللَّه وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّه﴾.[2]

الحديث هنا عن العاقبة في الدنيا وليس في الآخرة. يقول موسى النبي وكليم الله استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين. إذن فالحديث هنا عن الأرض، عن هذه الحياة الدنيا والمعركة فيها.

وهكذا في سورة هود يخاطب الله سبحانه وتعالى نبيه:

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ الْعاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾.[3]

إذن الحديث ليس فقط عن الفوز في الآخرة وإنما في الدنيا أيضاً، إنه قول قطعي من الله تبارك وتعالى أن العاقبة للمتقين ﴿وَكانَ حَقًّا عَلَيْنا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾.[4]

(١) القصص: ٨٣.
(٢) الأعراف: ١٢٨.
(٣) هود: ٤٩.
(٤) الروم: ٤٧.

اليوم وقفت عند دلالة هذه الآية، يا لها من دلالة رائعة، فالله تعالى يقول أنه ليس مجرد وعد أعدكم بالنصر، بل هو أمر فرضته على نفسي، ﴿وَكانَ حَقًّا عَلَيْنا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

ما معنى العاقبة الدنيوية:

ربما يقول قائل: أليس قد قتل أمير المؤمنين وقتل الحسين وقتل الأئمة الأطهار عليهم السلام وقُتل الصالحون، فما معنى أن العاقبة في الدنيا لهم؟

الجواب: إن هذا لا ينافي قول أمير المؤمنين «فزت ورب الكعبة» ولا ينافي أن الأئمة والأنبياء هم المنتصرون لأن كلمة ﴿الْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[1] تعني النجاح في الدنيا وتحقيق الأهداف ونصر كلمة الله ﴿كَلِمَةُ اللَّه هِيَ الْعُلْيا﴾.[2]

أيها المؤمنون ستشهدون هذا الأمر في الدنيا، وحاشا لله أن تكون كلمته هي الخاسرة، بينما هو يقول:

﴿كَلِمَةُ اللَّه هِيَ الْعُلْيا﴾.

﴿وَاللَّهُ غالِبٌ عَلى أَمْرِه وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾.[3]

يتصورون أن قتل الإمام الحسين عليه السلام يعني خسارة، وقتل أمير المؤمنين يعني أن الأمويين تغلبوا عليه، كلا ليس كذلك، فالدين والحق والقرآن وكلمة الله هي الغالبة دائماً.

(١) هود: ٤٩.
(٢) التوبة: ٤٠.
(٣) يوسف: ٢١.

تقدم الإسلام:

ولهذا نجد اليوم تقدم الإسلام وتطوره وانتشاره وعالميته وانتصار التشيع وعالميته قياساً إلى ١٤٠٠ سنة مضت، لا يمكن أن نقيس اليوم بما قبل عشر سنين، ولا ما قبل عشر سنين بما قبل عشرين سنة، ولا ما قبل عشرين سنة بما قبل خمسين سنة، والله غالب على أمره فلا يمكن أن تتراجع كلمة الله ولا مثقال ذرة إلا إذا كان يعتقد شخص أن الله مغلوب، حاشا لله وهو القهار والقوي فكيف تكون كلمته مغلوبة؟

إذا كانت كلمتنا لله فهي الغالبة، هذا ما نعتقده اليوم في الانتشار العالمي للإسلام ولمذهب أهل البيت عليهم السلام.

أيها المؤمنون، أيتها المؤمنات:

بعد أن أوصيكم ونفسي بتقوى الله اعلموا أن العاقبة للمتقين، إن أردتم الدنيا فالدنيا للمتقين، وإن أردتم الآخرة فالآخرة للمتقين، التقوى هي سبيل النجاح في الدنيا والآخرة، كل الناس يموتون وتجري عليهم البلايا. إذن أن يموت الإنسان في طريق الله ويجري عليه البلاء فذلك أجمل، وإلا فإن حوادث الدنيا تشمل المؤمن وغير المؤمن.

الله مع المتقين:

﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾.[١]

ما معنى أن الله مع الذين اتقوا؟ هل المقصود المعيّة المكانية، يعني أنه تعالى معنا من حيث المكان أم المقصود شيء آخر؟

---

(١) النحل: ١٢٨.

يؤكد القرآن الكريم في أكثر من آية أن الله مع المتقين، فقد قال تعالى في سورة النحل وسورة البقرة:

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾.[١]

وفي سورة التوبة:

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾.[٢]

وفي سورة التوبة أيضاً:

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾.[٣]

ليس المقصود هو المعيّة المكانية لأن الله مع جميع الخلق من هذه الناحية ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾،[٤] ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾[٥] إذن المقصود من قوله ﴿مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ معيّة أخرى هي التأييد والإسناد والولاية والنصرة، الله مع المتقين يعني ناصر المتقين، مدافع عن المتقين، هذا هو معنى ولي المتقين، ومعنى أن الله ولي الذين آمنوا، أي ناصرهم، مؤيدهم.

* * *

---

(١) البقرة: ١٩٤.

(٢) التوبة: ٣٦.

(٣) التوبة: ١٢٣.

(٤) البقرة: ١١٥.

(٥) الحديد: ٤.

التأمل الخامس:

مقام المتقين

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمنِ وَفْداً * وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْداً * لا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلاَّ مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمنِ عَهْداً * وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمنُ وَلَداً * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً * تَكَادُ السَّماواتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبالُ هَدّاً * أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمنِ وَلَداً * وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً * إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّماواتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمنِ عَبْداً * لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدّاً * وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيامَةِ فَرْداً﴾.(١)

وفد المتقين:

المتقون يفدون على الله يوم القيامة على شكل وفد.

الوفد _ كما يقول علماء اللغة _ هو المجموعة من الركبان ذات الاحترام الخاص عند من تفد عليه.

ومعنى هذا أن المتقين يدخلون الجنة على شكل وفد محترم وركبان لهم مقام خاص عند الله تعالى.

أما المجرمون _ كما يقول القرآن الكريم _ فيساقون إلى

---

(١) مريم: ٨٥ - ٩٥.

جهنم ورداً، أي سوقا لا على شكل وفد محترم، وإنما يواجهون عملية السحب والسوق إلى جهنم والعياذ بالله.

دفع التباس:

وقد يرى القارئ للقرآن شيئاً من الإلتباس في هذه الآيات حيث قال في البداية: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمٰنِ وَفْداً﴾ وفي الختام قال: ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيامَةِ فَرْداً﴾ فكيف نفسر ذلك؟ هل هم وفد أم هم فرد؟ مطلع الآية يقول أنهم وفد، والآية الأخيرة تقول أنهم فرد، فهل هذا اختلاف وتضاد؟

الجواب على ذلك أنه توجد عندنا مرحلتان:

المرحلة الأولى: هي مرحلة حشر الإنسان نحو ساحة يوم القيامة، وفي هذه المرحلة فإن الناس يحشرون فرادى من قبورهم.

المرحلة الثانية: هي مرحلة الافتراق والتمايز ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾[1] وهنا وفي هذه المرحلة يتقدم المؤمنون المتقون ويدخلون الجنة وفدا ويتقدمهم رسول الله ﷺ، بينما يساق المجرمون إلى جهنم ورداً.

المتقون يوم القيامة:

في رواية عن الإمام الصادق عليه السلام قال: سأل علي عليه السلام رسول الله ﷺ عن تفسير الآية: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمٰنِ وَفْداً﴾.

(1) الشورى: ٧.

فقال: يا علي، الوفد لا يكون إلا ركباناً «رجال اتقوا الله فأحبهم الله واختصهم ورضي أعمالهم فسماهم المتقين، أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنهم ليخرجون من قبورهم وبياض وجوههم كبياض الثلج، عليهم ثياب بياض كبياض اللبن، إن الملائكة لتستقبلهم بنوق الجنة عليها رحائل الذهب مكللة بالدر والياقوت فتطير بهم إلى المحشر، مع كل رجل منهم ألف ملك من قدامه وعن يمينه وعن شماله يزفونهم حتى ينتهوا بهم إلى باب الجنة، وعلى باب الجنة شجرة وعن يمين الشجرة عين مطهرة مزكاة فيسقون منها شربة فيطهر الله قلوبهم من الحسد وذلك قوله ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً﴾[1] ثم يرجعون إلى عين أخرى إلى يسار تلك الشجرة فيغتسلون منها فهي عين الحياة فلا يموتون أبداً، ثم يوقف بهم قدام العرش فيقول الجبار تعالى للملائكة: احشروا أوليائي إلى الجنة ولا تقفوهم مع الخلائق في الحساب فتسوقهم الملائكة إلى الجنة، فإذا انتهوا إلى باب الجنة الأعظم تقول كل حوراء بعضهن لبعض قد جاءنا أولياء الله فيقلن مرحباً بكم فما كان أشد شوقنا إليكم، ويقول لهن أولياء الله، مثل ذلك.

فقال علي عليه السلام: من هؤلاء يا رسول الله؟ قال ﷺ: يا علي، هؤلاء شيعتك والمخلصون في ولايتك وأنت إمامهم».[2]

اللهم اجعلنا من شيعة علي عليه السلام واحشرنا مع علي عليه السلام، واسقنا من الحوض بيد علي عليه السلام، وأدخلنا الجنة مع علي عليه السلام. اللهم أحينا محيا أمير المؤمنين وأمتنا ممات أمير المؤمنين عليه السلام.

* * *

(1) الإنسان: ٢١.

(٢) تفسير علي بن ابراهيم القمي: ج٢، ص٥٣.

التأمل السادس:

فوائد التقوى

قال الله تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾.(١)

الأمر بالتقوى تكرر في القرآن الكريم، وقد جعل الله تبارك وتعالى للتقوى مجموعة نتائج وآثار.

في سورة واحدة وهي سورة الطلاق جمع الله تبارك وتعالى للتقوى خمس فوائد:

١ و٢ _ قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾.(٢) **حيث جمع في هذه الآية فائدتين للتقوى هما المخرج عند الشدائد والرزق من حيث لا يحتسب.**

٣ _ وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً﴾.(٣) **وهذه هي الفائدة الثالثة، وهي تيسير الأمور.**

---

(١) الأحزاب: ٧٠ و٧١.

(٢) الطلاق: ٢ و٣.

(٣) الطلاق: ٤.

٤ و٥ _ وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾.[١] **وفيها إشارة إلى فائدة كفارة السيئات، وعظيم الأجر.**

٦ _ وقال تعالى في سورة آل عمران: ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾.[٢] **وهذه فائدة سادسة وهي عدم تأثير كيد الأعداء.**

٧ _ وقال تعالى في سورة الأحزاب: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾.[٣] **وهنا إشارة إلى فائدة سابعة هي إصلاح الأعمال.**

* * *

التقوى إذن فيها مجموعة عطاءات:

١ _ الخلاص عند الشدائد في الدنيا.

٢ _ اليسر في الأمور.

٣ _ كفارة السيئات.

٤ _ الرزق من حيث لا يحتسب.

٥ _ إصلاح الأعمال والتوفيق فيها والتسديد بها.

٦ _ عظيم الأجر في الآخرة.

٧ _ دفع كيد الأعداء.

هذه مجموعة نتائج وآثار للتقوى.

---

(١) الطلاق: ٥.

(٢) آل عمران: ١٢٠.

(٣) الأحزاب: ٧٠ و٧١.

شروط ثلاثة:

لكن هذه النتائج وهذه المعطيات للتقوى تطلب منا شروطاً ثلاثة كما يقول القرآن الكريم:

الشرط الأول: الصبر.

قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾[١] **لا بدّ أن يكون الإنسان الفرد صبوراً، المجتمع صبوراً، والأمة صبورة، حينئذ لا يضركم كيدهم شيئاً.**

لقد تكرّر هذا التقارن بين التقوى والصبر في سورة آل عمران ثلاث مرات:

قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾.

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾.[٢]

وقال تعالى: ﴿بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾[٣] **أي إن تصبروا وتتقوا فإن ملائكة السماء تنزل لنصركم** ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ **يعني يضعون علامات على جباه المشركين الذين استحقوا القتل فيقتلون، ولهذا قال الراوي كنا نرى رؤوساً تتطاير ولا نعرف من يقتل هؤلاء.**[٤]

وفي سورة يوسف جاء على لسان نبي الله يوسف عليه السلام: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ

---

(١) آل عمران: ١٢٠.

(٢) آل عمران: ١٨٦.

(٣) آل عمران: ١٢٥.

(4) انظر تفسير مجمع البيان/ الطبرسي: ج٤، ص٤٣٧.

وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾[١] **حينما سأله أخوته «أ أنك لأنت يوسف؟»** ﴿قالَ أَنا يُوسُفُ وَهذا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنا﴾[٢] **ثم قال:** ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾، **فالشرط الأول مع التقوى هو الصبر.**

الشرط الثاني: القول السديد، قال تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمالَكُمْ﴾.[٣]

القول السديديعني الخطاب الصحيح، والفكر الصحيح والمعتقد الصحيح، حينئذ يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم، إذن فهذا شرط ثانٍ لتحقق نتائج التقوى وهو القول السديد.

الشرط الثالث: الإحسان، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾[٤] **فيجب أن نكون من أهل الإحسان والبر والخير والرحمة للناس وللآخرين، قال تعالى:** ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسانِ﴾.[٥]

الفرقان فائدة ثامنة:

قال تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقاناً وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.[٦]

(١) يوسف: ٩٠.
(٢) يوسف: ٩٠.
(٣) الأحزاب: ٧٠.
(٤) النحل: ١٢٨.
(٥) النحل: ٩٠.
(٦) الأنفال: ٢٩.

الفرقان بمعنى القدرة على التمييز بين ما هو الحق وما هو الباطل، بين ما هو الصواب وما هو الخطأ، بين ما هو استقامة وما هو انحراف.

وَعَدَ الله المتقين بأن يجعل لهم مثل هذه القدرة إضافة إلى تكفير السيئات وغفران الذنوب، وهذه القدرة الخاصة سمّاها القرآن الكريم بـ (الفرقان).

إن الإنسان لديه قدرات حسية: سمع وبصر ولمس، وهي أدوات ووسائل نسميها الحواس، ولديه شيء آخر هو القدرة غير الحسية؛ مثل العلم والذكاء والشجاعة.

ما هو منشأ هذه القدرات غير الحسية؟

الروح الخاصة:

يُطلق القرآن والروايات الشريفة عنوان (الروح) على مصدر هذه القدرات، وهي روح خاصة يعطيها الله للمؤمنين، كقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾[١] **أي هناك روح تنزل من الله على المؤمنين والمتقين تؤيدهم وتسددهم في المواقف.**

في الرواية يقول الإمام الرضا عليه السلام: «إن الله تبارك وتعالى أيدّ المؤمن بروح منه تحضره في كل وقت يحسن فيه ويتقي، وتغيب عنه في كل وقت يذنب فيه ويعتدي»[٢] **أي حينما تقوم بإحسان وتصل الرحم وتحسن الأخلاق ومعاملة المراجعين في الدائرة، وحينما يحسن**

(١) المجادلة: ٢٢.
(٢) أنظر أصول الكافي: ٢/ ٢٦٨، ح١.

سائق السيارة المعاملة مع الراكب فإن الله يعطيك روحاً جديدة، وهكذا حينما تسير للزيارة وصلاة الجمعة والجماعة فإن الله يعطيك روحاً تسير معك. هذه الروح هي غير الملائكة وغير جنود السماوات والأرض هذه هي روح الإيمان كما تسميها الروايات، وهناك روح خاصة بالأنبياء والأوصياء هي روح القدس.

نحن كبشر نشترك في روح إنسانية بشرية مع الآخرين، ولكن كمؤمنين يتفضل الله على عبده المؤمن بروح الإيمان، فبمقدار ما نكون مع الإيمان والتقوى تسير معنا روح من الله تؤيدنا في الطريق.

خمس أرواح:

في المفهوم الديني هناك خمس أرواح: الروح النباتية وهي التي تشترك فيها جميع الكائنات الحيّة، والروح الحيوانية وهي الروح التي يمتاز بها الحيوان عن النبات، والروح الإنسانية وهي الروح التي يمتاز بها الإنسان عن الحيوان، والروح الإيمانية وهي الروح التي يمتاز بها المؤمن عن غير المؤمن، ثم روح القدس وهي الروح التي يمتاز بها الأنبياء.

عن الإمام الصادق عليه السلام: «إن في الأنبياء والأوصياء خمس أرواح هي روح البدن، وروح القدس، وروح القوة، وروح الشهوة، وروح الإيمان، ومع المؤمنين تكون أربعة أرواح هي روح البدن وروح القوة وروح الشهوة وروح الإيمان ويفقد روح القدس، والكافر لديه ثلاثة أرواح هي روح البدن وروح القوة وروح الشهوة وليس له روح الإيمان»[1] التي تنفع في اكتشاف الحقائق، وهكذا روح القدس.

(١) انظر البحار: ج٢٥، ص٥٤، نحوه.

نسأل الله أن يجعلنا من أهل التقوى واليقين ويتفضل علينا بروح الإيمان.

اللهم إنا نشكرك على هذا اللطف والعناية الخاصة بالمؤمنين المتقين، ونسألك أن تجعلها معنا وتجعلنا من أهل التقوى واليقين والإيمان.

* * *

التأمل السابع:

التقوى من لوازم الإيمان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ ما قَدَّمَتْ لغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبيرٌ بِما تَعْمَلُونَ﴾.[1]

أمر الله تبارك وتعالى في هذه الآية الكريمة بالتقوى مرتين:

﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ **ثم بعد جملة أخرى قال:** ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾.

﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ ما قَدَّمَتْ لغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾.

انظروا ما قدمتم ليوم معادكم، يوم آخرتكم، يوم التغابن، يوم الورود على الله، يوم يمتاز الناس إلى فريقيين «فريق في الجنة وفريق في السعير» لتنظر نفس ما قدمت لذلك اليوم من عمل، كما جاء في الحديث الشريف: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا، وزنوها قبل أن توزنوا»[2] يوم القيامة، يوم الحساب، يوم الميزان.

تعالوا نجعل من دنيانا هذه دنيا الحساب و الميزان، حاسبوا أنفسكم، قبل أن تُحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا، «فإنه لا يؤمن أحدكم

---

(١) الحشر: ١٨.

(٢) البحار/ المجلسي: ٦٧/ ٧٣.

حتى يحاسب نفسهُ في اليوم والليلة خمس مرات، فإن عمل حسنة شكر الله عليها واستزاد منها، وإن عمل سيئة استغفر الله منها»[1] كما جاء في الحديث الشريف عن الإمام الكاظم عليه السلام.

لماذا تكرّر الأمر بالتقوى:

المفسرون يقفون عند هذا الأمر الثاني بالتقوى، لماذا تكرر في سطر واحد وفي آية واحدة؟

مراقبة الأعمال:

هل تكرر ذلك لمجرد التأكيد، والتقوى تستحق التأكيد أم لدلالة أُخرى كما يذهب لذلك بعض المفسرين؟

حيث يقول أن التقوى الأولى بأداء الواجبات، والتقوى الثانية بالنظر فيما إذا كان عمله متقَناً مخلصاً أو غير مخلص، فنحن في التقوى الأولى نندفع لأداء العمل الصالح كالصلاة مثلاً، وفي التقوى الثانية نراقب هذه الصلاة التي صليناها، هل كانت نيتنا حسنة صالحة؟ هل أديناها بخضوع وخشوع؟ هذه هي التقوى الثانية ﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِما تَعْمَلُونَ﴾.

أيها الناس، الله خبير بأعمالكم، إنه بكل شيء محيط، إنه على كل شيء شهيد، ﴿ما يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾.[2]

(١) راجع الكافي للكليني، ج٢: ٤٥٣/ ح٢، وفيه: عن الكاظم عليه السلام قال: ليس منا من لم يحاسب نفسه في كل يوم، فإن عمل حسنا استزاد الله، وإن عمل سيئاً استغفر الله منه وتاب إليه.

(٢) ق: ١٨.

﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤادَ كُلُّ أُولئِكَ كانَ عَنْهُ مَسْؤُلاً﴾.[1]

سمعُنا مسؤول يوم القيامة، بصرُنا مسؤول يوم القيامة، لساننا مسؤول يوم القيامة، الله تبارك وتعالى على كل شيء شهيد، وهو بكل شيء محيط، وهو على كل شيء قدير. وهو خبير بما تعملون، لا نجتمع، في اجتماع ولا نتحرك في حركة، ولا نمشي في مشي، ولا نتكلم بكلمة، إلا كان الله تبارك وتعالى معنا في ذلك المجلس والمحفل والمقام والمشى، قال تعالى: ﴿ما يَكُونُ مِنْ نَجْوى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رابِعُهُمْ﴾.[2]

لا يجلس ثلاثة في محفل وهم يتناجون ويتحدثون حديثاً خاصاً سرياً لا يسمعه أحد إلا كان الله معهم، ﴿ما يَكُونُ مِنْ نَجْوى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رابِعُهُمْ﴾، يعني الله تبارك وتعالى هو الرابع في ذلك الاجتماع، ﴿وَلا خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سادِسُهُمْ﴾، ﴿وَلا أَدْنى مِنْ ذلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ﴾، حتى الإنسان الواحد وهو في غرفته وقد أغلق الأبواب، لا يسمعه أحد، لا يراه أحد، لكن الله تبارك وتعالى به عليم وهو عليه شهيد وبه محيط ﴿وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً﴾.[3]

التقوى من لوازم الإيمان:

قد يأتي الأمر بالتقوى في القرآن الكريم لعموم الناس كما في قوله تعالى ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾.[4]

(١) الإسراء: ٣٨.

(٢) المجادلة: ٧.

(٣) يونس: ٦١.

(٤) النساء: ١.

ولكنه في أكثر الآيات جاء مخصوصاً بالمؤمنين ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾[1] الأمر الذي يرشدنا إلى معنى خاص وهو إن التقوى من لوازم الإيمان يعني حين يكون الإنسان مؤمناً فإن من واجبه أن يكون متقياً.

هذا التلازم أكده القرآن الكريم في سورة المائدة، حيث قال تعالى ﴿اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[2] في موضعين:

الموضع الأول: في شأن العلاقات الاجتماعية والسياسية، حيث يجب أن تبنى على أساس التقوى، يقول تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُواً وَلَعِباً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[3] هذه الآية تشير إلى ضرورة تقوى الله في العلاقات السياسية والاجتماعية.

يعني في علاقاتكم الاجتماعية والسياسية والدولية يجب أن تكون التقوى هي المقياس إن كنتم مؤمنين.

والموضع الثاني: في شأن القضايا الإعتقادية، حيث يقول في آية ثانية من سورة المائدة: ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنا مائِدَةً مِنَ السَّماءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[4] اتقوا الله من هذا السؤال؟ كيف تطلبون ذلك وأنتم تدّعون الإيمان؟

هنا تقوى الله في القضايا الإعتقادية، فكما تكون التقوى في

(١) البقرة: ٢٧٨

(٢) المائدة: ١١٢.

(٣) المائدة: ٥٧.

(٤) المائدة: ١١٢.

العلاقات الاجتماعية والسياسية كذلك تكون التقوى في العلاقة مع الله تعالى وكيفية المسألة من الله.

هؤلاء الحواريون وهم الخلّص من جماعة عيسى عليه السلام قالوا: هل يستطيع ربك أن ينزل علينا طعاماً من السماء؟ قال: اتقوا الله من هذا السؤال. أنتم مؤمنون كيف تسألون هذا السؤال؟

في العلاقة بيننا وبين الله تعالى يجب أن تكون التقوى حاكمة أيضاً، إذن التقوى لازمة الإيمان.

انعكاسات التقوى:

التقوى لها انعكاسات على عمل الإنسان وسلوكه وبصره وسمعه، ولهذا نجد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام حينما سُئل وطُلب منه أن يَصف المتقين قال عليه السلام: «المتقون فيها هم أهل الفضائل» ثم بدأ عليه السلام يشرح انعكاسات التقوى، كيف تترجم وتنعكس عملياً «منطقهم الصواب، وملبسهم الاقتصاد، ومشيهم التواضع» وهكذا بدأ عليه السلام يشرح في مئة فقرة انعكاسات التقوى على سلوك الإنسان من المشي إلى الملبس وإلى المنطق وإلى السمع والبصر حيث يقول عليه السلام: «غَضوا أبصارهم عما حرم الله عليهم» التقوى في البصر «ووقفوا أسماعهم على العلم النافع لهم» التقوى في السمع وهكذا «قلوبهم محزونة، وشرورهم مأمونة، وأجسادهم نحيفة، وحاجاتهم خفيفة، وأنفسهم عفيفة، صبروا أياماً قصيرة أعقبتهم راحة طويلة، تجارة مربحة يسرها لهم ربهم، أرادتهم الدنيا فلم يريدوها، وأسرتهم ففدوا أنفسهم منها» ثم يشرح عليه السلام انعكاس التقوى على المتقين في الليل وفي النهار ويقول:

«أما الليل فصافون أقدامهم، تالين لأجزاء القرآن، يرتلونها ترتيلا، يحزنون به أنفسهم، ويستثيرون به دواء دائهم، فإذا مروا بآية فيها تشويق ركنوا إليها طمعاً وتطلعت أنفسهم إليها شوقاً، وظنوا إنها نصب أعينهم، وإذا مروا بآية فيها تخويف أصغوا إليها مسامع قلوبهم» هذا وصف المتقين في الليل.

وأما في النهار «فحلماء علماء أبرار أتقياء، قد براهم الخوف بري القداح، ينظر إليهم الناظر فيحسبهم مرضى وما بالقوم من مرض ويقول لقد خولطوا ولقد خالطهم أمر عظيم».[1]

التقوى يجب أن تنعكس على كل وجود الإنسان على سمعه وبصره ومشيه وأخلاقه في الليل والنهار، على قلبه ونفسه وحزنه وفرحه، هذه انعكاسات التقوى.

أسأل الله أن يجعلنا من أهل التقوى ومن أهل الإيمان.

* * *

(1) نهج البلاغة: ج٢، ص١٥٩، الخطبة ١٩٣.

التأمل الثامن:

التقوى والإسلام والإيمان

قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.[1]

هناك ثلاثة مفاهيم: الإسلام والإيمان والتقوى.

القرآن الكريم يعطي لكل واحد من هذه المفاهيم حداً خاصاً. فالإسلام يمثل مرحلة أولى تأتي بعدها مرحلة الإيمان وتأتي بعدها مرحلة التقوى.

الإسلام يمثل الحالة الإعتقادية للإنسان بأن يشهد الشهادتين فيكون مسلماً، لكن بعد الإسلام تأتي عملية الإيمان التي هي عبارة عن التفاعل القلبي مع ما يعتقده الإنسان. إذن الإيمان مرحلة ما بعد الإسلام، ولهذا قال الله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾.[2]

أي أنتم في المرحلة الأولى وهي الإسلام. فلا تقولوا آمنا ﴿قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ هذه مرحلة الإيمان، مرحلة ما بعد الإسلام.

ثم مرحلة ثالثة يؤكد عليها القرآن الكريم كثيراً هي مرحلة التقوى.

(١) آل عمران: ١٧٩.

(٢) الحجرات: ١٤.

وهي عبارة عن مراقبة استحقاقات الإيمان عملياً وعلى أرض الواقع، حين يقول الإنسان أنا مؤمن فإن ذلك له استحقاقات وشروط وأمور مطلوبة.

التقوى هي عبارة عن مراقبة استحقاقات ومقتضيات الإيمان، ماذا يقتضي الإيمان أن يكون على الأرض؟

المتقي يراقب العملية، فهي عملية حذر من الانحراف وخوف من الانزلاق، هذه هي التقوى ولهذا تجدون القرآن الكريم:

يقول: ﴿وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

ويقول: ﴿وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ﴾.[1]

ويقول: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾.[2]

إذن لدينا (إسلام) وهو يمثل الحالة الإعتقادية، ولدينا (إيمان) يمثل التفاعل القلبي الصادق مع المعتقدات، ولدينا (تقوى) وهي عبارة عن مراقبة التصرف والسلوك وفقاً لاستحقاقات الإيمان.

تعريف الإسلام:

روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله:

«الإسلام أن تسلم وجهك لله عز وجل، وأن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله».[3]

(١) محمد: ٣٦.
(٢) الأعراف: ٩٦.
(٣) كنز العمال/ ج١، ص٣٢، ح٣٩.

تعريف الإيمان:

يلخص لنا أمير المؤمنين عليه السلام ماهية الإيمان فيقول:

«الإيمان معرفة بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان»[1] يعني اللسان والقلب والعمل، اللسان يشهد الشهادتين، وهذا هو الإسلام، وجوارح الإنسان تعمل بمقتضى الإسلام وهذا هو التقوى، والقلب أيضا يؤمن بحقيقة ما يقوله اللسان وهذا هو الإيمان.

تعريف التقوى:

سئل الإمام الصادق عليه السلام عن تفسير التقوى فقال:

«أن لا يفقدك الله حيث أمرك، ولا يراك حيث نهاك».[2]

* * *

(١) نهج البلاغة: ج٤، ص٥٠، ح٢٢٧.
(٢) بحار الأنوار/ ج٧/ ص٢٨٥.

التأمل التاسع:

الإيمان الأول والإيمان الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.[1] **هذه الآية القرآنية تدعونا إلى الإيمان برسول الله ﷺ بعد الدعوة لأصل الإيمان، وهذه من الأمور التي وقف عندها المفسرون، حيث تكرر ذلك في آية أخرى كما في سورة النساء:**

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾[2] **يعني يكون الإنسان مؤمنا، ولكن القرآن الكريم يقول له مرة أخرى يجب أن تكون مؤمنا:**

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ﴾ **هم مؤمنون لكن مرة أخرى يقول القرآن الكريم آمنوا برسول الله، فما معنى هذا الإيمان الثاني المطلوب بعد الإيمان الأول؟**

قال المفسرون: إن هذا الإيمان الثاني هو الإيمان العملي والتطبيقي، فالإيمان الأول هو الإيمان الاعتقادي بأن يقول الإنسان:

---

(١) الحديد: ٢٨.

(٢) النساء: ١٣٦.

أشهد أن لا إله إلاّ الله وأشهد أن محمداً رسول الله، والمطلوب بعد هذا الإيمان الاعتقادي هو الإيمان العملي والتطبيقي.

ثلاث نتائج:

هذه الآية القرآنية تعطي لذاك المؤمن المتقي ثلاث نتائج:

١ ـ يؤتكم كفلين من رحمته.

٢ ـ يجعل لكم نوراً تمشون به.

٣ ـ ويغفر لكم.

هنا وقف المفسرون عند هذه النتائج الثلاث، ما معنى يؤتكم كفلين من رحمته؟

(كفلين) يعني حظّين، نصيبين، ضعفين، يعني لا يعطيكم رحمة واحدة إنما يعطيكم رحمتين.

يؤتكم كفلين:

ويذكر المفسرون[1] أن هذه الآية نزلت في قصة هجرة جعفر الطيار إلى الحبشة حيث النجاشي ملك الحبشة، وحينئذ آمن جمع من أهل الكتاب فوعدهم القرآن الكريم بأن الله يؤتكم أجركم مرتين، يعني ذاك المسيحي الذي يصير مسلماً يقول الله تعالى بأنه يعطيه أجرين: أجر على أنه كان على دين عيسى، وأجر ثان أنه أصبح على دين رسول الله، كما أشار إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾.[2]

(1) انظر تفسير مجمع البيان/ الطبرسي: ج٩، ص٤٠٥.

(٢) القصص: ٥٤.

فقال بعض النصارى للمسلمين: أجرنا أكثر من أجركم، المسلم يحصل أجراً واحداً لكن أنا الذي كنت نصرانيا أحصل أجرين، فحزن المسلمون وقالوا: عجيب، ذاك النصراني أجره أكثر منا؟ ذاك اليهودي مثلا أجره أكثر منا؟ هنا نزل قوله تعالى: ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾[1] يعني أنتم أيها المسلمون أيضاً بما أنكم صبرتم واتقيتم وآمنتم إيماناً عمليا فإن الله تعالى يؤتكم كفلين من رحمته أيضاً، هذا أولاً.

ويجعل لكم نوراً:

وثانياً: يجعل لكم نوراً تمشون به، نور في الدنيا ونور في الآخرة، أما نور الدنيا فهو قوله تعالى:

﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ﴾.[3]

للمؤمنين في الدنيا نور، هم في الدنيا على نور من ربهم، هذا نور الدنيا.

وهناك نور الآخرة.

﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾.[4]

المؤمن يمشي ووجهه يسطع نوراً يوم القيامة، يرفع كفه فتضيء نوراً في عرصات القيامة، ولهذا يقول الكافرون وهم في ظلمات جهنم للمؤمنين.

(١) الحديد: ٢٨.

(٢) البقرة: ٢٥٧.

(٣) الزمر: ٢٢.

(٤) الحديد: ١٢.

﴿انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ﴾[1] عسى أن تكون جهنم المظلمة مضيئة بنور وجوهكم ﴿قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ﴾ أنتم لا تستحقون النور.

أيها المؤمنون: أنتم بحمد الله تعالى أهل هذا النور في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا فقد نوّر الله قلوبكم ببصيرة الإيمان فأنتم ترون وتبصرون الحقائق، لستم في ظلمات، أنتم على نور من ربكم في الدنيا، تمشون بالنور فهذا الإسلام وهذه الولاية وهذا القرآن الذي لديكم هو النور الذي تمشون به وأنتم أعزاء وأهل حضارة وكرامة.

وبعد هذا النور يأتيكم نور القيامة ﴿يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ هنيئاً للمؤمنين الذين آمنوا بالله ورسوله لهم نورهم في الدنيا والآخرة.

ويغفر لكم:

المغفرة للذنوب الماضية هي الفضل الثالث للمتقين، فالله تعالى يؤتهم كفلين من رحمته، ويجعل لهم نوراً يمشون به، ويغفر لهم ذنوبهم.

نسأل الله أن يرزقنا كمال الإيمان والتقوى.

* * *

(١) الحديد: ١٣.

التأمل العاشر:

التقوى مبادئ وطاعة

قال الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ * وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا﴾.[1]

في هاتين الآيتين جاء الأمر بالتقوى مقروناً بأمر آخر وهو الاعتصام بحبل الله.

ما هو حبل الله وكيف نعتصم به؟

عن الرسول الأكرم ﷺ في الحديث الشريف فيما رواه الفريقان عن أبي سعيد الخدري أنه قال:

«إني تركت فيكم حبلين ما إن أخذتم بهما لن تضلوا بعدي أبدا، أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي، ألا وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض».[2]

حبل الله إذن هو القرآن الكريم وآل بيت النبوة عليهم أفضل الصلاة والسلام، يعني القرآن والإمامة.

(١) آل عمران: ١٠٢ و١٠٣.

(٢) في مسند أحمد بن حنبل _ ج ٣ ص ١٤: عن أبي سعيد (الخدري) قال: قال رسول الله ﷺ: إني تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض.

حاجة المجتمع إلى مبادئ وقيادة:

إن مجتمعنا كما هو شأن كل مجتمع يحتاج إلى أمرين:

١ _ المبادئ.

٢ _ القيادة.

المبادئ بالنسبة لنا هي التي يشرحها القرآن الكريم والسنة الشريفة، أمّا القيادة فهي الإمامة الشرعية، وهذا ما أوجزه رسول الله ﷺ بالقول «كتاب الله وعترتي أهل بيتي» إذن معنى ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ﴾ يعني اعتصموا بالقرآن الكريم الذي يرسم مبادئ الإسلام وشريعته، واعتصموا بالإمامة الشرعية في أمور الدين والدنيا.

ومعنى ذلك أن التمسك بالمبادئ الإسلاميّة التي دُعينا إليها في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ لا يكفي ما لم ينضم إليه الطاعة للقيادة الشرعية وهو الذي دعينا إليه في قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً﴾.

التأكيد على الطاعة:

حينما أمر الله تبارك وتعالى بالتقوى، وكانت التقوى هي هدف الأنبياء عليهم السلام نجدهم أمروا بشيء آخر وهو الطاعة لهم حيث تكرر ذلك على لسان الأنبياء ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾،[1] فنحن مأمورون بالتقوى أولاً وبالإطاعة ثانياً. لاحظوا ما يقوله القرآن الكريم:

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾.[2]

(١) الزخرف: ٦٣.

(٢) الشعراء: ١٠٥ - ١٠٨.

وفي آية أخرى: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾.[1]

وفي آية ثالثة: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾.[2]

وفي آية رابعة: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾.[3]

إذن هناك أمران:

الأمر الأول: تقوى الله تبارك وتعالى.

والأمر الثاني: إطاعة الأنبياء، ويمكن أن نصطلح على الأمر الأول بالتقوى التشريعية؛ وهي الالتزام بالمبادئ، وعلى الأمر الثاني بالتقوى السياسية؛ وهي الطاعة للقيادة الشرعية.

لا يكفي أن يكون الإنسان متقياً بينه وبين الله ولكن بعيداً عن إطاعة الأنبياء وأولي الأمر ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ﴾[4] لابدّ من الطاعة للقرار السياسي الذي يتخذه أهله وهم الأنبياء والأوصياء والفقهاء ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾.

الإسلام والحريّة:

ليس الإسلام مع الإنفلات السياسي على أساس ما يسمى بالحرية السياسية المطلقة، بل الإسلام مع الحرية الملتزمة، فهناك فرق

(١) الشعراء: ١٢٣ - ١٢٦.

(٢) الشعراء: ١٤١ - ١٤٤.

(٣) الشعراء: ١٦٠ - ١٦٣.

(٤) النساء: ٥٩.

بين الحرية المطلقة التي لا مبادئ فيها ولا طاعة للقانون ولا للقرار الشرعي والسياسي وبين الحرية الملتزمة بالمبادئ والقرارات الشرعية، وهذا هو ما يدعو إليه الإسلام.

تقوى الله خلاصة دعوة الأنبياء:

الحقيقة أن تقوى الله المقترنة بالطاعة هي خلاصة دعوة الأنبياء وهدفهم وما يريدونه من العباد، وقد ورد في القرآن الكريم آيات كثيرة عن لسان الأنبياء وكلها تحث على تقوى الله، فقد قال تعالى:

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾.(١)

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾.(٢)

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾.(٣)

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾.(٤)

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾.(٥)

﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ﴾.(٦)

إن الأنبياء ليس لهم إرادة خاصة غير ما يريده الله تعالى، وهم حينما يأمرون الناس بالطاعة لهم فإنما يريدون بذلك الطاعة لله تعالى.

* * *

(1) الشعراء: ١٠٦.

(2) الشعراء: ١٢٤.

(3) الشعراء: ١٤٢.

(4) الشعراء: ١٦١.

(5) الشعراء: ١٧٧.

(6) الصافات: ١٢٣ و١٢٤.

التأمل الحادي عشر:

كلمة التقوى

في الآية ٢٦ من سورة الفتح يقول القرآن الكريم: ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾.

هنا ثلاثة تأكيدات:

١ _ ألزمهم كلمة التقوى... أي جعلها ملازمة للمؤمنين، وهذا فضل من الله بأن يلصق بهم التقوى وليس يأمرهم بها فقط، بل يجعلها ملازمة لهم ويتفضل عليهم بالتقوى.

٢ _ وكانوا أحقَّ بها... أي حقيق بهم وجدير بهم أن يتقوا، فمن أجدر من المؤمنين بالله ورسوله أن يكون من المتقين؟ أحق الناس بالتقوى هم المؤمنون.

٣ _ وأهلها... أي المؤمنون هم أهل التقوى، خُلقهم التقوى، وسجيتهم التقوى، فالمؤمن لا يكون مؤمنا بدون تقوى.

مرة نقول: الله أهل التقوى والمغفرة، أي أنه أهل لأن يُتقى، ومرة نقول المؤمنون أهل للتقوى أي هم أهل لأن يتقوا، فالله يُتقى والمؤمن يَتقّي.

ما هي كلمة التقوى:

في صلح الحديبية حينما جاء رسول الله ﷺ للحج بشَّر المسلمين ﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾[١] ثم تحول الموقف في قصة طويلة إلى صلح، قال تعالى وهو يصف قريش الجاهلية: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجاهِلِيَّةِ﴾[٢] إذ أنها تمثل التطرف والتعصب الجاهلي، ووصف المؤمنين فقال عنهم: ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ ثم قال: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوى﴾.

ما هي كلمة التقوى؟

يقول المفسرون: إنها كلمة التوحيد.[٣]

لكن بعض الروايات تذكر إنها الولاية[٤] بالمعنى الأعم، أي ولاية الله والرسول ﷺ وأهل البيت عليهم السلام والمؤمنين وهي نتيجة التوحيد. إن كلمة التقوى تعني التوحيد والولاية.

ثمن الجنة:

اقرأ لكم رواية عن الإمام الصادق عليه السلام عن أبيه عليه السلام قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله هل للجنة من ثمن؟

كان المؤمنون ينتظرون الأعرابي الذي يأتي من البادية ويطرح مسألة جديدة لأنهم لا يجرؤون على السؤال، أو ليس لديهم سؤال.

---

(١) الفتح: ٢٧.

(٢) الفتح: ٢٦.

(3) تفسير الميزان/ الطباطبائي: ج١٨، ص ٢٩٠.

(٤) اليقين/ ابن طاووس: ص ٢٩١.

قال: «نعم، لا إله إلا الله، يقولها العبد مخلصاً بها» فقال الأعرابي: وما إخلاصها؟

قال ﷺ: «العمل بما بُعثت به» أي أن التوحيد يعني الصلاة، الصوم، الأمر بالمعروف، النهي عن المنكر والجهاد.

«في حقه وحب أهل بيتي».

قال الأعرابي فداك أبي وأمي وإن حب أهل البيت من حقها؟

فقال ﷺ: «إن حبهم لأعظم حقها».[١]

هنا تستحقون التبريك والتهنئة على ما رزقكم الله من حب أهل البيت عليهم السلام، إنها نعمة بأن رزقنا كلمة التوحيد «لا إله إلا الله» والعمل بها بحقها، وحب أهل البيت من أعظم حقوقها، الحمد لله على نعمة الولاية والتوحيد والإخلاص.

* * *

---

(1) انظر أمالي الطوسي: ٥٨٣، ح١٢٠٧/ ١٢.

التأمل الثاني عشر:

تقوى القلوب

بسم الله الرحمن الرحيم

القلوب هي المقياس يوم القيامة:

قال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام في وصف يوم القيامة: ﴿يَوْمَ لا يَنْفَعُ مالٌ وَلا بَنُونَ * إِلاَّ مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾.[1]

إننا لا إطلاع لنا على واقع يوم القيامة وأهوالها إلا من خلال ما يكشفه الأنبياء لنا من وحي وبصفاء أرواحهم العظيمة.

إن الميزان والمقياس يوم القيامة هو القلوب وليس الأولاد والأموال.

وقد يطرح هنا سؤال، كيف نوفق بين هذه الآية وبين ما جاء في الرواية المعروفة القائلة:

عن الإمام الصادق عليه السلام: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية وسنة هدى وولد صالح».[2]

الجواب: أن هذه الأمور لا يمكن أن تكون مفصولة عن القلب السليم، بل هي صادرة عن القلب السليم، وهي تعبير عن سلامة القلب الذي صدرت عنه، فصاحب الصدقة الجارية والسنّة الهادية والولد

---

(١) الشعراء: ٨٨ و٨٩.

(٢) راجع بحار الأنوار ج ٦، ص٢٩٣، ح١.

الصالح هو نفسه صاحب القلب السليم، أما إذا لم يكنّ قلبه سليماً بل كان كافراً فإن الولد الصالح لا ينفعه أيضاً لقوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾.(١)

علامة القلب السليم:

وعلامته هو الإيمان بالله ورسوله وولاية أهل البيت عليهم السلام، وهكذا الشفاعة مربوطة بالقلب السليم كذلك، فقد سأل الراوي الإمام الكاظم عليه السلام عن الشفاعة لمن تكون؟ قال عليه السلام: حدثني أبي عن آبائه عن علي عليه السلام قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي» استغرب الراوي وقال: كيف تكون الشفاعة لأهل الكبائر والله تعالى يقول: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾.(٢)

«فقال: لا يشفعون إلا لمن ارتضى الله دينه» أي كان مؤمناً بالله ورسوله وآله والدين كما يقول الإمام عليه السلام: «هو الإقرار بالجزاء على الحسنات والسيئات، فمن ارتضى الله دينه ندم على ما ارتكب من الذنوب»(٣) وهو القلب السليم.

حضورهم عليهم السلام يوم القيامة:

عن الحارث يقول: أتيت أمير المؤمنين عليه السلام ذات يوم فقال: ما الذي جاء بك؟ قلت: حبك والله، قال عليه السلام: إن كنت صادقاً تراني في ثلاثة مواطن:

(1) المنافقون: ٦.
(2) الأنبياء: ٢٨.
(3) راجع بحار الأنوار ج٨، ص٣٥١، ح١.

الموطن الأول: حيث تبلغ نفسك ها هنا وأشار إلى حنجرته أي حين تلفظ أنفاسك الأخيرة.

الموطن الثاني: عند العبور على الصراط.

الموطن الثالث: عند الحوض.(١)

وتروي أم سلمة رواية مشابهة عن رسول الله صلى الله عليه وآله يخاطب فيها علياً:

«يا علي إن محبيك يفرحون في ثلاثة مواطن: عند خروج أنفسهم وأنت هناك تشهدهم، وعند المساءلة في القبر وأنت تلقّنهم، وعند العرض على الله وأنت هناك تُعرّفهم»(٢) وتقول أيها الملائكة هذا فلان من شيعتي.

إن حب عليّ وولايته يعني أن القلب مخلص لله ورسوله، ويعني ذلك سلامة القلب وهو علامة التقوى وهو شرط الشفاعة والنجاة يوم القيامة.

التقوى وتأثيرها العملي:

ما هي التقوى التي أمرنا بها الله تعالى؟ ما هي التقوى التي قال الله فيها ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾.(٣)

في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير التقوى يقول: «أن لا يفقدك حيث يامرك، ولا يراك حيث نهاك»(٤) يعني في المكان

(١) راجع بحار الأنوار، ج ٦، ص ١٧٩.
(٢) انظر نحوه في البحار: ج٦٥: ٤٠.
(3) الأعراف: ٢٦.
(4) البحار: ج٦٧، ص٢٨٥.

الذي أراد الله لك أن توجد فيه يجب أن تكون فيه، وفي المكان الذي نهاك عن أن تحضر فيه يجب أن لا تحضر فيه.

التقوى موقف عملي، وهو الحضور في ما يريد الله أن نحضر فيه والابتعاد عما نهى الله عنه.

تفقد المؤمن هل هو حاضر في المساجد والصلوات، وفي الدفاع عن الدين، وفي الحج والزيارة، إذا وجدته فذلك هو التقوى، وإذا فقدته لغير عذر فإنه خلاف التقوى، فيجب أن لا تكون في المكان الذي يحرم ومواطن المعصية.

التقوى حالة قلبية، لكن يتبعها ترجمة عملية، ولهذا يشير القرآن الكريم إلى مسألة القلب ويقول: ﴿ذلكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعائرَ الله فإنها منْ تقْوَى الْقُلُوب﴾.[1] ويقول ﴿أُولئكَ الَّذينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ للتَّقْوى﴾[2] اذن مقياس التقوى هو القلب ثم الترجمة العملية التي يفرضها القلب على الإنسان.

ولذا نقرأ في زيارة أمير المؤمنين عليه السلام المعروفة بـ (زيارة أمين الله):

«اللهم إن قلوب المخبتين إليك والهة» وفي الدعاء العظيم بعدها نقرأ: «اللهم واجعل قلوبنا تذكرك ولا تنساك، وتخشاك كأنها تراك».

فضل زيارة أمين الله:

أوصي نفسي وإخواني كثيراً بزيارة أمير المؤمنين عليه السلام والإلتزام بزيارة أمين الله والدعاء بعدها. هذه الزيارة ورد في فضيلتها عن الإمام الباقر عليه السلام: «ما قال هذا الكلام ولا دعا به أحد من شيعتنا

(1) الحج: ٣٢.
(2) الحجرات: ٣.

عند قبر أمير المؤمنين إلاّ رفع دعاؤه في درج من نور وطبع عليه بخاتم محمد صلى الله عليه وآله، وكان محفوظاً حتى يسلّم إلى قائم آل محمد عليه السلام فيلقى صاحبه بالبشرى والتحية والكرامة».[1]

أُهنئ نفسي وأبناء النجف الأشرف والمحافظة بصورة عامة بجوارهم لأمير المؤمنين. واقرأ لكم هذه الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام يقول: «إن إلى جانب كوفان قبراً ما أتاه مكروب قط فصلى عنده ركعتين أو أربع ركعات إلا نفّس الله كربته وقضى حاجته».[2]

فضل الكوفة:

وفي الرواية عنه عليه السلام أيضاً: «إن الله عرض ولايتنا على أهل الأمصار فلم يقبلها الا أهل الكوفة».[3] كانت الكوفة عاصمة العراق يومئذ، والكوفة إشارة إلى هذا الإقليم الواسع ويشمل هذه المحافظة وأطرافها.

ولهذا انتقل الأئمة عليهم السلام إلى العراق حيث كان فيه التشيع ولم يقبله أهل المدينة المنورة ولا مكة المكرمة ولا الشام ولا مصر. ويقول «وإن إلى جانبها قبراً لا يأتيه مكروب فيصلي عنده أربع ركعات إلا أرجعه الله مسروراً بقضاء حاجته».[4]

اللهم اجعلنا من المتقين الصادقين الذاكرين المصلين المسبحين المستغفرين.

(1) مصباح المتهجد: ٧٣٩.
(2) تهذيب الأحكام: ج٦، ص٣٥.
(3) بصائر الدرجات: ٩٦.
(4) البحار: ج٩٧، ص٢٥٩.

التأمل الثالث عشر:

الأساس هو التقوى

قال الله تعالى: ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ﴾.[1]

التقوى مطلوبة في التأسيس:

العمل حينما يكون مبنيّا على التقوى يكون عملاً متقبّلاً مباركاً، وحينما لا يكون مبنياً على التقوى يكون قد بني على جرف هار، فانهار به في نار جهنم. القرآن الكريم يوصينا بتأسيس أعمالنا على أساس التقوى. فالتقوى مطلوبة في أساس العمل ومواصلته ونهايته، ففي جميع مراحل العمل يجب ان نلاحظ حالة التقوى وطلب الرضا من الله تعالى تجارياً كان عائلياً أو فكرياً أو عبادياً، أو صادراً من العامل، الطالب، الرجل، المرأة، أو السياسي، فالمطلوب من الجميع هو أن ينظروا أساس العمل، هل أسس على التقوى أو لا؟ يقول القرآن: ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾.[2]

أي راقبوا دائماً بداية العمل عندكم وعند الآخرين، حينما يكون ذلك مؤسساً على أساس التقوى فانتظروا له النجاح وإلاّ فاعدلوا عنه.

---

(١) التوبة: ١٠٨.

(٢) التوبة: ١٠٨.

مسجد ضرار:

هذه الآية نزلت في قصة مسجد ضرار، حيث أن جمعاً من المنافقين اخبروا رسول الله ﷺ وهو في طريقه إلى تبوك أنهم يريدون بناء مسجد في حي بني سالم وطلبوا أن يصلي فيه، فأمّلهم بأن يزور مسجدهم بعد الرجوع من سفره، فأعلمه الله بأنه مسجد نفاق وضرار والغرض منه هو إعداد العدّة وتجمع المنافقين ﴿إِرْصاداً لِمَنْ حارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ﴾ فنزل قوله تعالى: ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوى...﴾.

وهو مسجد قُبا وهو من المساجد المهمة جداً وتعادل الصلاة ركعتين فيه عمرة، وأرجو أن تزورونه حينما ترزقون الحج وزيارة المدينة المنورة إن شاء الله تعالى.

ثم علَّق القرآن الكريم الكلام وحوّله إلى المسجد الثاني بقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيانَهُ عَلى تَقْوى مِنَ اللهِ وَرِضْوانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيانَهُ عَلى شَفا جُرُفٍ هارٍ فَانْهارَ بِهِ فِي نارِ جَهَنَّمَ وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظالِمِينَ﴾.(١)

مراقبة أساس أعمالنا:

ذكرت ذلك للإشارة إلى قضية تهمنا جميعاً، وهي أن نراقب أساس جميع أعمالنا الصغيرة والكبيرة بان يكون هو التقوى، كالطالب حينما يدرس، ويذهب إلى الجامعة، والكاسب حينما يذهب إلى كسبه، والعامل حينما يذهب إلى المعمل، وحينئذ يقول تعالى: ﴿إِنَّما يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾(٢) فيكون العمل مباركاً ومقبولاً، وإلاّ فهو نصيب الشيطان.

---

(١) التوبة: ١٠٩.

(٢) المائدة: ٢٧.

نصيب الشيطان:

تقول الرواية(١) أن إبليس عليه لعائن الله قال: إلهي إنك جعلت لكل خلق من خلقك رزقاً فما رزقني؟

قال كلّما لم يُذكر عليه اسمي، سواء كان في عمل أو تجارة أو طعام تأكله ودرس تدرسه ومشي إلى خارج البيت.

أيها المؤمنون، أيتها المؤمنات:

نحن بحاجة إلى التقوى في أساس أعمالنا وأصول حركتنا، ننظر لماذا قمنا وتحركنا ودرسنا وكسبنا وصلينا ووصلنا الرحم وذهبنا للزيارة والدرس.

يجب أن نراقب عملنا قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾(٢) فكيف تكون الكلمة طيبة إذا لم يكن فيها ذكر الله، ولم يكن أساسها التقوى والرضوان؟ ﴿أَصْلُها ثابِتٌ وَفَرْعُها فِي السَّماءِ تُؤْتِي أُكُلَها كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّها وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثالَ لِلنّاسِ﴾.(٣)

ويقول أيضاً: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللهُ يُضاعِفُ لِمَنْ يَشاءُ﴾.(٤)

العمل حينما يكون في سبيل الله مهما كان صغيراً ومتواضعاً يقول القرآن هو كالحبة الصغيرة التي تتحول إلى بيدر من الحنطة، حينما يكون العمل على أساس التقوى انتظروا له النجاح في أولادكم وذرياتكم، وانتظروا البركة من الله في كسبكم.

---

(١) ميزان الحكمة/ ج٣/ ٤٣٧ عن مصادره فراجع.

(٢) إبراهيم: ٢٥.

(٣) إبراهيم: ٢٥.

(٤) البقرة: ٢٦١.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِراراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1] **هذه الآية ألفتت نظري بان المسجد يكون أحياناً ذا أربع صفات: ضراراً، وكفراً، وتفريقاً بين المؤمنين، وارصاداً _ أي مجمعاً _ لمن حارب الله ورسوله، وهكذا المدرسة أو أي عمل من أعمالنا.**

الغرض من هذا الحديث هو الإشارة إلى أصول أعمالنا وإصلاح نوايانا في جميع الأعمال بما في ذلك الأعمال السياسية.

نخوض اليوم في العراق عملاً سياسياً، فإذا كان على تقوى من الله فإن الله يتقبله و يباركه وينصره وإلاّ فإنه على شفا جرف هار.

﴿تَقْوى مِنَ اللهِ...﴾ **يعني يريد رضا الله بهذا العمل كما يقول القرآن الكريم:** ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾.[2]

لا نريد نعمة من الناس كجزاء لأعمالنا، بل أن الهدف هو رضا الله تبارك وتعالى.

نسأل الله أن تكون أعمالنا قائمة على أساس التقوى، وهكذا كسبنا ودرسنا وأخلاقنا وسلوكنا. اللهم اجعلنا من المتقين، واجعل كلامنا وعملنا ومسيرنا ونوايانا قائمة على أساس التقوى وتقبّلها منا.

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات.

* * *

(١) التوبة: ١٠٧.

(٢) الليل: ١٧ - ٢٠.

التأمل الرابع عشر:

صفات المتقين

قال الله تعالى في كتابه الكريم:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾.[1]

حينما أوصانا الله تبارك وتعالى بالتقوى ودعانا إليها في مئات الآيات الشريفة.

علينا أن نتساءل: من هم المتقون؟ ما هي صفاتهم وخصائصهم؟

كيف نعرف أننا من المتقين أو لسنا منهم؟

القرآن الكريم ذكر في آية واحدة مجموعة من صفات المتقين وأعمالهم، حيث قال بعد أن استعرض تلك الأعمال والصفات: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾.

(١) البقرة: ١٧٧.

صفات المتقين:

١ ـ الإيمان بالله ورسله وكتبه وملائكته واليوم الآخر، وذلك قوله ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾.

٢ ـ إيتاء الزكاة والإنفاق والعطاء في سبيل الله، لأن الإيمان لا يترجم عمليا إلا من خلال عمل ذكره القرآن الكريم وهو: ﴿وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ﴾.

في هذه الآية جاءت الدعوة إلى إعطاء المال في سبيل الله قبل الصلاة التي ذكرها بعد ذلك بقوله: ﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ﴾.

وهذا المعنى وهو تقديم الإنفاق على الصلاة يتكرر في القرآن الكريم في مواضع عديدة.

يقول القرآن الكريم: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾[1] **لاحظوا أن** ﴿أَعْطَى﴾ **جاءت أولاً و** ﴿اتَّقَى﴾ **ثانياً، وجاءت مسألة الإيمان والتصديق بالآخرة في هذه الآية متأخرة** ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾[2] **وذكرت في مقابل ذلك البخل ثم الكفر:** ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى * وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾[3] **فالإنسان الذي لا يعطي ولا ينفق لا يغنيه ماله إذا تردى في قبره، وتكون حياته ودنياه وآخرته عسيرة. بل نحن نلاحظ أن الحث على الإنفاق جاء في هذه الآية التي نتحدث عنها من سورة البقرة مرتين، مرةً قبل الصلاة، ومرة بعد الصلاة حيث قال بعد ذلك:**

(١) الليل: ٥.
(٢) الليل: ٦ و٧.
(٣) الليل: ٨ - ١١.

﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ﴾ **الأمر الذي يدلل على أهمية الزكاة والإنفاق في سبيل الله.**

٣ ـ الوفاء بالعهود، قال تعالى في الآية السابقة من سورة البقرة: ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾،[1] **فهناك عهود بين الإنسان وبين الله، وعهود بينه وبين القرآن، وعهود بينه وبين النبي** ﷺ **والأئمة الأطهار** عليهم السلام**، وعهود بينه وبين الناس، فيجب أن نفي بها، علينا أن نفي بما عاهدنا به أئمتنا الأطهار** عليهم السلام **في الوقوف إلى جانبهم في نصرة الدين وإحقاق الحق وإبطال الباطل.**

٤ ـ الصبر، فإن أحد معالم شخصية الإنسان المتقي هو أن يكون صبوراً ثابتاً رابط الجأش في الشدائد، قال تعالى في الآية: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ﴾[2] **أي حين الحرب والقتال والمواجهة.**

بعض الناس يفهم الصبر على أنه الصبر على الفقر والمرض والمشاكل الدنيوية، نعم إنه صبر ولكن الصبر الأعظم الذي يشير القرآن الكريم إليه هو الصبر عند المواجهة والتحديات والحرب.

٥ ـ إقامة الصلاة، قال تعالى في الآية السابقة ﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ﴾ **وقد ذكرها القرآن الكريم باعتبارها صفة أولى للمتقين في الكثير من الآيات، كما جعل تركها السبب الأول لدخول جهنم، وقال تعالى:** ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾[3] **فكل نفس مكبلة مرتهنة وأسيرة بذنوبها**

(١) البقرة: ١٧٧.
(٢) البقرة: ١٧٧.
(٣) المدثر: ٣٨.

ومعاصيها ﴿إِلاَّ أَصْحابَ الْيَمِينِ * فِي جَنَّاتٍ يَتَساءَلُونَ * عَنِ الْمُجْرِمِينَ﴾[1] **فأنتم أيها المؤمنون المصلون في جنات النعيم إن شاء الله تتساءلون عن المجرمين:** ﴿ما سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾[2] **فيقولون:** ﴿لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ * وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخائِضِينَ * وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ * حَتَّى أَتانَا الْيَقِينُ * فَما تَنْفَعُهُمْ شَفاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾.[3]

الصدقة أثناء الصلاة:

يجب هنا التحدث عن سنّة سنَّها إمامنا أمير المؤمنين عليه السلام وهي أنه كان الشخص الوحيد الذي تصدق أثناء الصلاة فنزل فيه قوله تعالى: ﴿إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَهُمْ راكِعُونَ﴾[4] **ولشيعة أهل البيت عليهم السلام أسوة خاصة بإمامهم أمير المؤمنين عليه السلام في التصدق حتى في الصلاة.**

إن أحد مستحبات يوم الجمعة هو أن يتصدق الإنسان المؤمن فيه فإن الدرهم فيه يعدل بألف درهم، ولا مانع من أن يتصدق الإنسان حتى أثناء الخطبة والصلاة تأسياً بأمير المؤمنين وكسباً لهذا الثواب، ولهذا أبارك وأشجع الأخوة الذين يتصدقون على الفقراء والمساكين وفي سبيل الله وإقامة الصلاة وخاصة إذا دعوا إلى التبرع لأجل إقامة صلاة الجمعة وتعظيم هذه الشعيرة.

(١) المدثر: ٣٩ - ٤١.
(٢) المدثر: ٤٢.
(٣) المدثر: ٤٣ - ٤٨.
(٤) المائدة: ٥٥.

فضل صلاة الجمعة:

هنا اقرأ لكم رواية رواها الشيخ الكليني، ويرويها الحر العاملي في كتاب (وسائل الشيعة) وهو من أعظم كتب الشيعة، وهي رواية صحيحة السند عن الإمام الباقر عليه السلام يقول فيها: «إذا كان يوم الجمعة نزل الملائكة المقربون» ليس ملائكة السماء الأولى أو الثانية أو الثالثة بل المقربون عند العرش «معهم قراطيس» أي معهم دفاتر وسجلات «من فضة وأقلام من ذهب، فيجلسون على أبواب المساجد»، «على كراسٍ من نور فيكتبون الناس على منازلهم» يكتبون الأسبق والأسرع إلى صلاة الجمعة، «الأول والثاني حتى يخرج إمام الجمعة فإذا خرج طووا صحفهم»[1] وانتهى التسجيل، هذا هو شيء في فضل حضوركم في هذه الصلاة.

صفات أخرى للمتقين:

إن الآية السابقة من سورة البقرة ذكرت خمس صفات للمتقين، ولكن الآيات التالية من سورة الذاريات تذكر صفات أخرى وهي بالحقيقة ليست سوى تعميق للصفات السابقة وإشارة إلى أعلى مستوى من مستوياتها. قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * آخِذِينَ ما آتاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كانُوا قَبْلَ ذلِكَ مُحْسِنِينَ * كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ * وَبِالْأَسْحارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ * وَفِي أَمْوالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾.[2]

إن هذه الآيات تشير إلى مجموعة صفات:

(١) وسائل الشيعة: ج ٧، ص ٣٤٧.
(٢) الذاريات: ١٥ - ١٩.

الصفة الأولى: «الإحسان» ﴿إِنَّهُمْ كانُوا قَبْلَ ذلكَ مُحْسِنِينَ﴾، **والمقصود الإحسان في مجالاته الواسعة، في العبادة، وفي العمل، وفي الدراسة، ومع الأهل، والأولاد، والجيران، والمجتمع، وفي كل شيء ينجزه الإنسان.**

سئل رسول الله ﷺ عن معنى الإحسان؟ قال ﷺ: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»[1] كما لو كنا نراه حاضراً معنا وأمامنا، ولعل الآيات السابقة نفسها تشير إلى هذا المعنى أيضاً حينما قالت: ﴿كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ﴾.

الصفة الثانية: (التهجّد) ﴿كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ * وَبِالأَسْحارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾، **هكذا كان رسول الله ﷺ ومن معه من المؤمنين، القرآن الكريم يخاطبه فيقول:** ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ﴾.[2]

يعني كان رسول الله ﷺ يتهجد أقل من ثلثي الليل أحياناً، وأحياناً نصف الليل وأحياناً ثلث الليل وطائفة من الذين معه.

قد يقول قائل: نحن غير قادرين على هذا المقدار من التهجد في الليل كما كان رسول الله ﷺ والمجموعة الصالحة معه _ وليس كلهم طبعاً _ فنقول: أيها المؤمنون وأيتها المؤمنات يقول القرآن الكريم: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾،[3] **يعني إذا لم تكونوا قادرين على أن تؤدوا ما أداه رسول الله ﷺ من العبادة فعليكم أن تتأسوا به بمقدار طاقتكم وجهدكم.**

---

(١) كنز العمال: ١٦، ص١٢٧، ح٤٤١٥٤.

(2) المزمل: ٢٠.

(3) التغابن: ١٦.

الصفة الثالثة: «الإنفاق» وإليه أشار تعالى بقوله: ﴿وَفِي أَمْوالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾.

* * *

الحقيقة هي أن هذه الصفات الثلاث وهي «الإحسان» و«التهجد» و«الإنفاق» ترجع إلى نفس الصفات التي ذكرتها الآية السابقة في سورة البقرة حيث ذكرت صفة الإيمان وإيتاء الزكاة، والوفاء بالعهود، والصبر، والصلاة. فالإحسان الذي ذكرته الآية في سورة الذاريات هو نفسه التهجد، والإنفاق والتهجد هو عبارة أخرى عن المستوى العميق للإيمان والصلاة، كما أن الإنفاق هو عبارة عن إيتاء الزكاة المذكور في سورة البقرة.

* * *

تفصيل آخر في صفات المتقين:

لقد تحدثت الآيات السابقة من سورة البقرة عن خمس صفات للمتقين. وقد رأينا أن الآيات السابقة أيضاً من سورة الذاريات تشير إلى نفس الصفات الخمس ولكن بصياغة أخرى.

ومرة أخرى نلاحظ أن الآيات التالية من سورة آل عمران لا تذهب بعيداً عن تلك الصفات.

يقول تعالى:

﴿وَسارِعُوا إِلى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّماواتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ * وَالَّذِينَ إِذا فَعَلُوا فاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلى ما فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.[1]

---

(١) القصص: ١٣٣ - ١٣٥.

الحقيقة أن هذه الآيات تذكر ثلاث صفات للمتقين هي:

١ ـ الانفاق، بقوله: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ **وهذا المعنى هو نفسه الذي ذكرته الآيات في سورة البقرة بقوله تعالى:** ﴿وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ﴾.

٢ ـ كظم الغيظ والعفو عن الناس، بقوله: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ **وهذا المعنى هو بالحقيقة صورة من صور الإحسان الذي أشارت إليه الآيات في سورة الذاريات بقوله:** ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ﴾.

٣ ـ الاستغفار وذكر الله، بقوله ﴿ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا﴾.

وهذا المعنى هو ترجمة عملية الإيمان الذي جاءت الإشارة إليه في الآيات من سورة البقرة بقوله: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾.

* * *

ومن كل مضى يتضح أن أهم صفات المتقين وبشكل تفصيلي هي الإيمان، والإنفاق، والصلاة، والصبر، والوفاء بالعهد، وكظم الغيظ، والعفو عن الناس، والتهجد، والاستغفار، وذكر الله، ولكن هذه العناوين التفصيليّة ترجع كلها إلى اثنين فقط وهما:

١ ـ الإيمان.

٢ ـ الإحسان بمعناه الواسع في العبادة والسلوك ولهذا كانت الآيات تشير إلى ذلك بالقول: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ﴾.

* * *

التأمل الخامس عشر:

المتقون هم عباد الرحمن

نسبة العباد إلى الله:

قال تعالى: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾.[١]

الجنة هي ثواب عباد الله المتقين.

إن نسبة العباد إلى الله في القران الكريم جاءت على نحوين:

النحو الأول: النسبة التكوينية والخَلقية العامة. بمعنى أن الله خالق هؤلاء العباد فهم عباده سواءاً كانوا مؤمنين أو كافرين، كما يقول تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾،[٢] **فالجميع هم عباده من يؤمن ويشكر ومن لا يؤمن ولا يشكر.**

النحو الثاني: النسبة الإحتضانية الخاصة. بمعنى الإحتضان وقبول هؤلاء العباد كما تقول يا أبنائي أي أنك تقبلهم. فالعباد هنا ليس بمعنى المخلوقون لله، بل المخلوقون والمقبولون والمحتضنون عند الله، كقوله تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾[٣] **فليس المقصود هنا**

---

(١) مريم: ٦٣.
(٢) سبأ: ١٣.
(٣) الفجر: ٢٧ - ٣٠.

هم العباد المخلوقون جميعاً إذ أن بعضهم في النار، وإنما المقصود عبادي المقبولون الذين اخترتهم.

هذه النسبة هي نسبة الإحتضان من قبل الله وقبوله تعالى هؤلاء العباد، والقران الكريم يسميهم عباد الرحمن، فليس كل الناس عباد الرحمن، بل الجميع عباد الله، ولكن بعضهم هم عباد الرحمن وهم الذين قبلهم الله تعالى ووعدهم الجنة، قال تعالى: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبادِنا مَنْ كانَ تَقِيًّا﴾.

صفات عباد الرحمن:

يعطي القرآن لعباد الرحمن عشرة أوصاف في الآيات المتواصلة من سورة الفرقان ويطلب منهم الالتزام بها وهي صفات المتقين، وهي كما يلي:

١ ـ التواضع، قال تعالى: ﴿وَعِبادُ الرَّحْمنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً﴾.(١)

٢ ـ الحلم، قال تعالى: ﴿وَإِذا خاطَبَهُمُ الْجاهِلُونَ قالُوا سَلاماً﴾.(٢)

٣ ـ العبادة والخوف من الله، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِياماً * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذابَها كانَ غَراماً * إِنَّها ساءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقاماً﴾.(٣)

٤ ـ الاعتدال في السلوك الشخصي، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكانَ بَيْنَ ذلِكَ قَواماً﴾.(٤)

(١) الفرقان: ٦٣.
(٢) الفرقان: ٦٣.
(٣) الفرقان: ٦٤ و٦٥.
(٤) سورة الفرقان: الآية ٦٧.

٥ ـ الإخلاص في التوحيد، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ﴾.(١)

٦ ـ عدم الاعتداء على الآخرين، قال تعالى: ﴿وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالحَقِّ﴾.(٢)

٧ ـ ترك الفواحش الأخلاقية، قال تعالى: ﴿وَلا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ يَلْقَ أَثاماً﴾.(٣)

٨ ـ ترك الكذب وترك الشهادة بالكذب، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾.(٤)

٩ ـ إحترام آيات الله، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذا ذُكِّرُوا بِآياتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْها صُمًّا وَعُمْياناً﴾.(٥)

١٠ ـ القدوة الحسنة، أي يضعون أنفسهم قدوة حسنة للآخرين فيكون سلوكهم نموذجا، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنا هَبْ لَنا مِنْ أَزْواجِنا وَذُرِّياتِنا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنا لِلْمُتَّقِينَ إِماماً﴾.(٦) **فهذا ليس مجرد دعاء، بل هو سلوك وممارسة عمل بحيث يكونون قدوة للآخرين.**

الغُرف العالية في الجنة:

النتيجة من هذه الصفات العشرة هي قوله تعالى: ﴿أُولئِكَ يُجْزَوْنَ

(١) الفرقان: ٦٨.
(٢) الفرقان: ٦٨.
(٣) الفرقان: ٦٨.
(٤) الفرقان: ٧٢.
(٥) الفرقان: ٧٣.
(٦) الفرقان: ٧٤.

الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلاماً﴾[1] **الغرفة تعني الطابق العالي في الجنة.**

عن رسول الله ﷺ قال: يا علي لقد خصك الله بالحلم والعلم والغرفة التي قال تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الغُرْفَةَ﴾ والله إنها لغرفة ما دخلها أحد قط، ولا يدخلها أحد أبداً حتى تقدم عل ربك، وإنه ليحف بها في كل يوم سبعون ألف ملك...[2]

عباد الرحمن وعباد الشيطان:

نستطيع أن نعرف مما مضى أن جميع الخلق هم عباد الله تعالى لأنه ربّهم وخالقهم جميعاً، ولكن بعضهم يعبدونه ويطيعونه وهؤلاء هم عباد الرحمن، وبعضهم يعبد الشيطان ويطيعه وهؤلاء هم (عباد الشيطان)، ولهذا قال تعالى: ﴿يا بَنِي آدَمَ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطانَ﴾.[3]

* * *

(1) الفرقان: ٧٥.

(2) البحار: ج٧، ص٣٣٢.

(٣) يس: ٦٠.

التأمل السادس عشر:

حق التقوى واستمرارية التقوى

قال الله تعالى في كتابه الكريم: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.[1]

نحن في هذه الآية الكريمة نلاحظ أمراً بالتقوى ولكن مع شرطين:

أولاً: حق تقاته.

ثانياً: ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون.

الشرط الأول: حق التقوى: لم يقل فقط يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله، وإنما قال: حقّ تقاته، فهناك إذن للتقوى شكل وإطار، وللتقوى باطن وعمق وحق.

القرآن يطلب منا أن نكون من الأتقياء بالمعنى الحقيقي للتقوى وليس بالمعنى الشكلي والظاهري. الناس يصلّون ولكن الصلاة الحقيقية هي تلك التي تنهى عن الفحشاء والمنكر، التقوى الحقيقية هي التقوى التي ليس معها معصية، ليس معها رياء ليس معها نفاق، ليس معها مخالفة، حق تقاته.

والشرط الثاني: هو استمرار التقوى: ﴿وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ التقوى المستمرة، التقوى الدائمة، التقوى الأبدية حتى يموت الإنسان،

(١) آل عمران: ١٠٢.

حتى يفارق هذه الدنيا، حتى يرتحل عن الدنيا، يعني ليست التقوى في يوم أو يومين أو شهر أو شهرين أو في شهر رمضان أو في شهر محرم الحرام وإنما التقوى طول العمر، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون.

نحن اليوم بحاجة إلى حق التقوى وبحاجة إلى التقوى الاستمرارية الدائمة لا نتراجع ولا نتنازل ولا نهن ولا نحزن ولا نضعف وإنما نكون من المتقين حق التقوى. وإلاّ تموتن لا وأنتم مسلمون. هذا المسير مسير المتقين مسير إلى الأبد، مسير طالما كان الإنسان على الأرض، مسير طالما كان المؤمن حياً، مسير التقوى ومسير المتقين في كل المجالات. في المجالات التشريعية، وفي المجالات السياسية، وفي المجالات العائلية، وفي المجالات الأخلاقية. ﴿اتقوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.

اتقوا الله ما استطعتم:

القرآن الكريم يدعونا للتقوى حق التقوى، وهذه مسألة أريد أن أقف عندها قليلاً، يقول الله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾[1] أي بما يستحقه الله تبارك وتعالى، بما يجب لله تعالى، بما يليق بشأنه، لكن هناك آية ثانية في سورة «التغابن» تقول: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾.[2]

بعض المفسرين تصور أن هناك تضاداً بين الآيتين، فكيف تقول آية في سورة آل عمران: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ ثم أية أخرى تخفف الأمر وتقول: ﴿مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ يعني بمقدار ما تستطيعون. ومن

(١) آل عمران: ١٠٢.

(٢) التغابن: ١٦.

أجل حلّ مشكلة التضاد اضطر هؤلاء المفسرون للقول بأن الآية الثانية ناسخة للآية الأولى.[1]

الحقيقة أن المسألة ليس فيها تضاد، فنحن يجب أن نتقي الله أقصى ما يمكن لنا أن نتقيه، نحن قد لا نبلغ حق التقوى الذي هو شأن الله تعالى واستحقاقه لكن يجب علينا العمل نحو ذلك الهدف البعيد أن نبذل كل جهد المستطيع، يعني ما استطعتم. فهو مثل أن تقول: «يجب عليك الحج» ثم تقول: «يجب عليك أن تسعى كل ما تستطيع من أجل أن تحج»، فلا تضاد بين الجملة الأولى والثانية بل هما في سياق واحد.

الله تبارك وتعالى كما قرأنا في دعاء صلاة العيد «أهل التقوى والمغفرة» ويعني أن الله أهل لأن نتقيه ونحذر غضبه وسخطه، لاحظوا الجمال الإلهي فإن الله أهل التقوى وفي نفس الوقت هو أهل المغفرة، إن الله الذي يجب أن نخافهُ يجب أن نرجوه ، نخافهُ أقصى درجات الخوف ونرجوه أقصى درجات الرجاء.

إذن يجب أن نتقي الله حق تقاته، ولكن ذلك أمر لا نستطيعه، فعلينا إذن أن نتقِ الله أقصى ما نستطيع وهذا هو قوله ﴿مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ فليس هناك تضاد بين الآيتين.

ما هو حق التقوى؟

جاء عن الإمام الصادق عليه السلام في معنى «حق تقاته»:

«أن يُطاع فلا يُعصى، ويُذكر فلا يُنسى».[2]

(١) أنظر ما نقله الطبرسي في مجمع البيان/ ج٢، ص٣٥٦ في تفسير الآية ١٠٢ من سورة آل عمران.

(٢) تفسير العياشي: ج١، ص١٩٤، ح ١٢٠، ومعاني الأخبار للصدوق ص ٢٤٠.

هذا المعنى هو الذي نقرؤه في الدعاء العظيم الوارد بعد زيارة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام والذي أوصي أخواني جميعاً بقراءته، حيث نقول فيه: «اللهم اجعل قلوبنا تذكرك ولا تنساك، وتخشاك كأنها تراك».[1]

حق الإيمان وحق التقوى:

كما تحدث القرآن عن حق التقوى كذلك تحدث عن حق الإيمان، وربما كشف لنا ذلك عن وحدة الأمرين.

القرآن الكريم يقول وهو يصف المؤمنين: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[2] هذه مجموعة صفات للمؤمنين:

أولاً: إذا ذكر الله خافوا ووجلت قلوبهم، وإذا تلي عليهم القرآن وتليت عليهم آياته زادتهم إيماناً.

ثانياً: وعلى ربهم يتوكلون.

ثالثاً: يقيمون الصلاة.

رابعاً: ومما رزقناهم ينفقون.

في هذه الآيات من سورة الأنفال أربع صفات للمؤمنين حق الإيمان.

علامة المؤمن:

رسول الله صلى الله عليه وآله: سأله أصحابه يوماً:

(١) أنظر مفاتيح الجنان/ القمي/ الدعاء بعد الزيارة المطلقة لأمير المؤمنين عليه السلام.

(٢) الأنفال: ٢ - ٤.

يا رسول الله ما علامة النور الذي يقذفه الله في قلب المؤمن؟ في قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ﴾.[1]

قال صلى الله عليه وآله هذا النور له ثلاث علامات: التجافي عن دار الغرور يعني الابتعاد عن الدنيا، والإنابة إلى دار الخلود يعني الاقتراب إلى الآخرة، والاستعداد للموت قبل حلول الفوت.[2] هذه العلامات هي التي نقرؤها في دعاء الإمام السجاد عليه السلام ونحن في ذكرى شهادته وأوصي المؤمنين والمؤمنات بحفظه وقراءته في الصلاة وبعد الصلاة:

«اللهم ارزقني التجافي عن دار الغرور: والإنابة إلى دار الخلود: والاستعداد للموت قبل حلول الفوت».[3]

دوام التقوى:

لقد جاء في سبب نزول هذه الآية: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ وما بعدها وهي قوله ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ أن رجلين من الأوس والخزرج تفاخرا، فقال الأول: منّا خزيمة بن ثابت ذي الشهادتين، وقال الثاني: منّا حنظلة غسيل الملائكة، ولكن هذا التفاخر أوشك أن يجرهما إلى معركة، فدعا كل واحد منهما أصحابه فجأؤوا ومعهم السلاح ليقتتلوا وأوشكت الفتنة أن تقع، فبلغ ذلك رسول صلى الله عليه وآله فركب حماراً وأتاهم، وأنزل الله تعالى هذه الآيات فاصطلحوا.[4]

(١) الزمر: ٢٢.

(٢) بحار الأنوار: ج ٧٠، ص ١٢٢.

(٣) بحار الأنوار: ج ٩٥، ص ٦٣.

(٤) مجمع البيان/ الطبرسي/ ج ٢، ص ٣٥٦ تفسير الآية ١٠٢ من سورة آل عمران.

التأمل السابع عشر:

الاستقامة على التقوى

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى: ﴿خُذُوا ما آتَيْناكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا ما فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

جاء ذلك مرةً في سورة البقرة آية ٦٣، ومرة في سورة الأعراف آية ١٧١ ﴿خُذُوا ما آتَيْناكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا ما فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾،[1] **يعني إذا كنتم تريدون أن تكونوا من أهل التقوى يجب عليكم أن تأخذوا هذا الذي آتاكم الله وهو الشريعة الإلهية وهو الكتاب الإلهي أن تأخذوه وتتمسكوا به بقوة. هذا المعنى هو الذي نصطلح عليه بالاستقامة، أن نأخذ هذا الذي أعطانا الله من كتابه وسنة نبيه أن نتمسك به بقوة.**

هذا المعنى يتكرر مرتين، ﴿خُذُوا ما آتَيْناكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ **في سورة البقرة وفي سورة الأعراف.**

كلا هاتين الآيتين هي أمر لبني إسرائيل الذين آتاهم الله الكتاب ولكن لم يأخذوه بقوة، لم يتمسكوا به.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنا مِيثاقَكُمْ وَرَفَعْنا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا ما آتَيْناكُمْ بِقُوَّةٍ﴾،[2] **الله تعالى قدم معجزة لبني إسرائيل أن رفع فوقهم**

---

(١) البقرة: ٦٣.

(٢) البقرة: ٦٣.

الجبل، صار الجبل على رؤوسهم كأنه سحابة، ﴿وَرَفَعْنا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾، الله يريد أن يقول لهم إني قادر على كل شيء فاتقوا الله يا بني إسرائيل، خذوا ما آتيناكم بقوة.

في آية أخرى من سورة الأعراف يقول: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ﴾[1] يعني الجبل أصبح منظَّماً على رؤوسهم، مال الجبل على رؤوس بني إسرائيل، ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ واقِعٌ بِهِمْ﴾، تصوروا أن مجموعة ناس يرون الجبل قد انحنى عليهم وصار فوق رؤوسهم، تصوروا هذا يريد أن يقع عليهم، هذا عذاب، بينما كان عملية إغاثة وإظهار معجزة إلهية، يا بني إسرائيل ﴿خُذُوا ما آتَيْناكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ هذا الأمر وهو الأخذ بقوة، القرآن الكريم يسميه الاستقامة ويؤكد قضية الاستقامة التي ستكون قرينةُ التقوى حيث بدون الاستقامة لا تقوى.

الأخذ والقوة:

الحقيقة أن هذه الآية فيها أمر بشيئين:

الأول: أخذ الكتاب ﴿خُذُوا ما آتَيْناكُمْ﴾.

الثاني: التمسك بقوة.

وليس المقصود طبعاً من الأخذ بقوة هو القوة البدنية الماديّة فقد يكون الإنسان ضعيفاً، وإنما المقصود هو التمسك الشديد بتعاليم الدين وهذا هو الاستقامة في أحد صوره ومعانيه.

(١) الأعراف: ١٧١.

الاستقامة في القرآن:

لاحظوا ما يقول القرآن الكريم بشأن الاستقامة.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلَّا تَخافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾.[1]

ويقول تعالى: ﴿الَّذِينَ قالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقامُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.[2]

ويقول: ﴿وَأَنْ لَوِ اسْتَقامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْناهُمْ ماءً غَدَقاً﴾.[3]

اليوم أيها المؤمنون نحن بحاجة إلى تقوى، والتقوى بحاجة إلى استقامة، ﴿الَّذِينَ قالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقامُوا﴾ لا يكفي أن نرفع شعار في اليوم الأول وفي اليوم الثاني لا بدّ أن نستقيم على هذا الشعاراً طول العمر، لا بدّ أن تكون شعاراتنا مبادئ نستقيم ونثبت عليها.

حينما نقول: «نعم نعم للإسلام، نعم نعم للعدالة، نعم نعم للوحدة، نعم نعم للمرجعية». هذه الشعارات لابدّ من الاستقامة عليها. لأننا في طيات الطريق سنواجه مشكلات، إغراءات، صعوبات.

القرآن الكريم يشترط الاستقامة يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقامُوا﴾ من السهل أن يقول كل الناس ربنا الله، في اليوم الأول الكل يقول الموت لصدام، والنصر للإسلام، لكن الفخر لمن يثبت على هذا الطريق، وإما أن يرفع شعاراً في اليوم الواحد أو يومين لا قيمة لذلك، استقاموا، حينئذ تتنزل

(١) سورة فصلت: الآية ٣٠.

(٢) سورة الاحقاف: الآية ١٣.

(٣) سورة الجن: الآية ١٦.

عليهم الملائكة، ملائكة السماء لا ينزلون على هذا الإنسان الذي في فترة مؤقتة يعبد الله ثم يرتد لأنه عانى مشكلات وصعوبات، الملائكة يتنزلون على الإنسان المستقيم، ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ﴾، حينئذ ماذا يقول الملائكة؟ ﴿أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾، يعني سيقول الملائكة لنا أيها المؤمنون اعلموا ونحن ملائكة الله نخبركم أنكم إذا استقمتم فإنكم سوف تنصرون، ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ هذا خبر عن الله بأن الإنسان والمجتمع والأمة والمجموعة الصالحة حينما تكون مؤمنة ثم تستقيم ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾. نسأل الله أن يجعلنا من المتقين ويجعلنا من أهل الاستقامة والثبات.

* * *

التأمل الثامن عشر:

الحاكمية المطلقة لله

حينما أمرنا الله تعالى بالتقوى لم يترك ذلك دون أن يوضح لنا ما هي السبل لكي نصبح من المتقين. القرآن الكريم شخَّص سبيلين:

السبيل الأول: الإطار العام.

وهو الإرتباط بالله ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.(١)

والسبيل الثاني: الالتزام بالحاكمية المطلقة لله.

فالطريق لتحصيل التقوى هو عبادة الله والارتباط به وهذا هو الإطار العام، لكن القرآن الكريم لم يترك هذا الإطار على إطلاقه العام، وإنما نزل إلى التفاصيل ليؤكد ضرورة الالتزام بالحاكمية المطلقة لله تعالى في جميع المواقف وفي جميع التشريعات.

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ هذه تتكرر في القرآن في أكثر من موضع، فمرة بتأكيد الإطار العام وهو الارتباط بالله، ومرة بإعطاء المواقف التفصيلية.

يعني إذا أردتم أن تكونوا من المتقين فإن هذه مواقف تفصيلية، هي التي تجعلكم أقرب للتقوى.

---

(١) البقرة: ٢١.

مثلاً: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيامُ كَما كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.[١] **الصيام موقف تفصيلي للارتباط بالله تعالى.**

ومثال آخر: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصاصِ حَياةٌ يا أُولِي الْأَلْبابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.[٢]

يعني من أجل أن تكونوا من المتقين عليكم بالقصاص، ليس فقط عليك بالصلاة والصيام والحج والزكاة، بل إذا أردتم أن تكونوا من المتقين فعليكم بالقصاص ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصاصِ حَياةٌ يا أُولِي الْأَلْبابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

قد يقول قائل أو يستغرب مستغرب ما هي علاقة القصاص بأن نكون من المتقين؟ لا... هكذا هو الإسلام، من أجل أن نكون من المتقين علينا بالصلاة وعلينا بالصيام وعلينا بالحج وعلينا بالقصاص والحدود وبالتعزيرات وإقامة الحاكمية لله، كل ذلك ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

تطبيق الشريعة الإسلامية:

هذا الأمر وهو الالتزام بالحاكمية لله وتطبيق تفاصيل الشريعة الإسلامية يكرره القرآن الكريم في عنوانه العريض في آيتين: آية ٦٣ من سورة البقرة، وآية ١٧١ من سورة الأعراف.

إسمع ما يقول القرآن من أجل أن نكون من المتقين:

يقول: ﴿خُذُوا ما آتَيْناكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا ما فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[٣] **إذا أردتم أن تكونوا من المتقين إذن خذوا ما أتيناكم بقوة، القرآن**

(١) البقرة: ١٨٣.

(٢) البقرة: ٦٣.

(٣) البقرة: ٦٣ وكذلك الأعراف: ١٧١.

الكريم كتاب الله، الشريعة الإسلامية، المناسبات الإسلامية التي فتحت لكم، ﴿خُذُوا ما آتَيْناكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا ما فِيهِ﴾ **حينئذ تكونوا من المتقين.**

ولهذا فنحن حينما نتحدث عن تطبيق الأحكام الإسلامية في البلاد، وحينما نتحدث عن تدوين الدستور الإسلامي العادل للبلاد، وحينما نتحدث عن الإعلام الإسلامي في البلاد، وحينما نتحدث عن الحاكمية الإسلامية في البلاد ذلك هو طريق التقوى ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

لا يحسبن أحدكم أن يكون مصلياً وصائماً وبذلك يكون قد وصل للتقوى، ﴿خُذُوا ما آتَيْناكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا ما فِيهِ﴾ **حينئذ تكونوا من المتقين. وإلا لا يمكن أن نحقق مجتمع الصلاح ومجتمع التقوى من دون أن نأخذ ما أعطانا الله، علينا أن نأخذه بقوة، فأنت لا يمكن أن تحقق مدرسة متقين، ومجتمع متقين، وحكومة متقين، وإدارة متقين، ومعمل متقين، وشركة متقين، لا يمكن أن نحقق ذلك ما لم نأخذ ما أعطانا الله بقوة ونذكر ما فيه، حينئذ لعلكم تتقون،** ﴿خُذُوا ما آتَيْناكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا ما فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

* * *

التأمل التاسع عشر:

دوافع نحو التقوى

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾.[1]

وحينما دعانا الله تعالى إلى التقوى حشد لنا مجموعة من الدوافع والترغيبات والمشوقات لكي نكون من المتقين:

١ _ المحبة من الله للمتقين:

حيث يقول الله تبارك وتعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ فالإنسان حينما يريد أن يكون محبوباً عند الله تبارك وتعالى يجب أن يكون من المتقين، إن الله يحب المتقين كما أن الله يحب المحسنين، كما أن الله يحب التوابين، كما أن الله يحب المتطهرين، كما أن الله يحب المقسطين.

هذه المحبة من الله هي أول عطية لأهل التقوى أنه تعالى يحبهم.

٢ _ أنه مع المتقين (المعيّة):

ليس فقط يحبهم إنما هو معهم، وحينما يكون الله تبارك وتعالى مع إنسان أو مع جمع أو مع امة فإنه لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

الله مع المتقين كما يقول القرآن الكريم في سورة التوبة: ﴿وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾.[2] **حينما يكون الله**

(1) التوبة ٤.

(٢) التوبة: ١٢٣.

تبارك وتعالى معكم إذن أنتم الأعلون، إذن أنتم الغالبون، إذن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، المعيّة من الله، هذه البشارة الثانية، هذا التشويق الثاني، هذه العطية الثانية للمتقين.

٣ _ الولاية:

إن الله ولي المتقين، فهو أولاً يحبهم، وهو ثانياً معهم، وهو ثالثاً وليّهم. يعني قائدهم الذي يتولى أمرهم.

تصوروا أيها المؤمنون والمؤمنات حين يكون الله تبارك وتعالى ولياً لإنسان، يتولى أمر إنسان، أو أمر أمة كاملة حينئذ لا شك أن النجاح والغلبة والسعادة والتوفيق مع ذلك الإنسان ومع تلك الأمة.

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾[1] **كما أن الظالمين بعضهم ولي بعض، لكن أنتم أيها المؤمنون المتقون، الله وليكم وقائد مسيرتكم وحامل لوائكم ومتولي أموركم والله ولي المتقين. هذه البشارة الثالثة للمتقين.**

٤ _ القبول منهم:

التشويق الرابع للمتقين أن الله يقبل منهم حتى وإن صدر منهم القليل من العمل والجهد والجد والعطاء لكن الله يقبل، يقول يا عبادي أيها المتقون أنا أتقبل منكم.

لاحظوا هذا الإنسان الضعيف والعبد الفقير حينما يتقدم إلى الله تبارك وتعالى بعمل بسيط، بهدية بسيطة، بعطية بسيطة فأن الله تبارك

(١) الجاثية: ١٩.

وتعالى يتقبل منه مهما كان عمله قليلاً، وإذا وقع العمل مقبولاً عند الله تعالى فذلك هو الفلاح والربح الحقيقي.

قال رسول الله ﷺ في وصيته لأبي ذر: كن بالعمل بالتقوى أشد اهتماماً منك بالعمل بغيره، فإنه لا يَقل عمل بالتقوى، وكيف يقل عملٌ يُتقبل لقوله ﷻ ﴿إِنَّما يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾.(١)

قصة هابيل وقابيل:

وهذه الآية إنما جاءت على لسان هابيل حين دخل معه أخوه قابيل في صراع فقال هابيل: ﴿إِنَّما يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ في قصة هابيل وقابيل ابني آدم على نبينا وعليه الصلاة السلام.

قال تعالى:

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا﴾.(٢)

هابيل قدم قرباناً، ضحية، هدية إلى الله تعالى قرباناً وقابيل أيضاً قدم قرباناً ﴿فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِما وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ﴾.(٣)

تقبل الله هدية هابيل ولم يتقبل هدية قابيل،* قال قابيل لأخيه هابيل ﴿لَأَقْتُلَنَّكَ﴾،(٤) لماذا الله تعالى تقبل منك ولم يتقبل مني؟

(١) المائدة: ٢٧/ الحديث في بحار الأنوار، ج ٧٠، ص٢٨٦.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق.
* تذكر بعض الروايات الواردة في تفسير ذلك أن هابيل كان قد قدّم أفضل ما لديه قرباناً إلى الله تعالى، وأمّا قابيل فقد قدّم أخسّ ما لديه قرباناً، وكان ذلك هو السبب في أن الله تعالى قبل من هابيل ولم يقبل من قابيل انظر تفسير التبيان للطوسي - ج٣، ص٤٩٣.
(٤) المصدر السابق.

﴿قالَ إِنَّما يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾.(١)

﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي ما أَنَا بِباسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخافُ اللَّهَ رَبَّ الْعالَمِينَ﴾.(٢)

حقائق كشفها هابيل:

المفسرون يذكرون أن هابيل كان عارفاً بالله وعالماً ربانياً، فهو في عدد من الجمل البسيطة كشف لنا عدة حقائق، وهو من الطبقة الأولى من البشر الذين ولدوا على الأرض، هو ابن آدم ويومئذ لا يوجد مجتمع وشريعة ورسل من الله تبارك وتعالى ليعطوا أحكاما ومعارف ومع ذلك فقد كشف لنا هابيل عدة حقائق:

الحقيقة الأولى: وجود المجتمع البشري

قوله ﴿إِنِّي أَخافُ اللَّهَ رَبَّ الْعالَمِينَ﴾، أي إن هناك بشرية ستأتي هي العالمين وهناك انتشار بشري سيحدث على الأرض اسمه العالمون، ولهذا قال: ﴿إِنِّي أَخافُ اللَّهَ رَبَّ الْعالَمِينَ﴾ في الوقت الذي لم يكن يوجد على الأرض إلا آدم وحواء وهابيل وقابيل، لكن هذا الإنسان وهو هابيل تنبأ أنه سيحدث انتشار بشري عالمي مليوني على الأرض.

الحقيقة الثانية: التقوى شرط القبول

وقال أيضاً ﴿إِنَّما يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ كشف عن قانون القبول والرد الإلهي، أي أن الله تعالى العادل الحكيم اللطيف يقبل ولا يقبل، يقبل من المتقين ولا يقبل من غير المتقين، هذه حقيقة أخرى كشفها هابيل.

(١) المصدر السابق.
(٢) المائدة: ٢٨.

الحقيقة الثالثة: حقيقة المعاد

وقال أيضاً في الإشارة إلى حقيقة ثالثة ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾، **فكشف عن حقيقة المعاد وأن هناك نارا و جنة.**

الحقيقة الرابعة: العدالة الإلهية

وكشف حقيقة رابعة هي حقيقة العدالة الإلهية وهي أن جزاء الظالمين هي النار ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾.[1]

* * *

التقوى في كل الأمور:

﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾.

ليس فقط في العبادات، وفي الصلاة والصوم وإنما كل عمل تريد التقرب به إلى الله إنما يكون مقبولاً إذا كان بإخلاص النيّة وبالتقوى، فطالب العلم خاصة في العلوم الدينية يكون عمله مقبولاً إذا كان مع الإخلاص والتقوى، الطالب في الجامعة كذلك، الإنسان في بيته وتجارته وعمله السياسي والاجتماعي كذلك، إذا أراد إن يكون العمل موفقاً ومقبولاً ومباركاً من الله تبارك وتعالى يجب أن يكون من المتقين ومع إخلاص النية.

عيسى يعبر على الماء:

يروي الشيخ الكليني عن إمامنا الصادق عليه السلام: «إن عيسى عليه السلام

(١) المائدة: ٢٩.

حينما كان يعبر الماء يقول بسم الله ويعبر الماء لكن مع إخلاص النية بدون رياء و نفاق وأنانية، وكان معه أحد أصحابه وهو قصير القامة لما رأى عيسى قد صنع ذلك قال مثله بسم الله بإخلاص أيضاً ومشى على الماء، لكن في الطريق أتاه الشيطان ووسوس له وذهبت التقوى والإخلاص في النية، فأصبح يحدث نفسه ويقول: ما الفرق بيني وبين عيسى؟ إنه نبي يمشي على الماء وأنا كذلك، ولكنه بمجرد أن فكر بهذا التفكير غطس في الماء.

قال عيسى: يا قصير ماذا صَنَعت فغرقت في الماء؟ قال: يا عيسى نفسي راودتني بسوء واختلفت نيتي، أصبحت أقول عيسى نبي وأنا مثله ونحن الإثنان نمشي على الماء فما الفرق بيننا؟ فغطست في الماء.

قال عيسى: إنك وضعت نفسك في غير الموضع الذي وضعك الله فيه فتب إلى الله، فتاب إلى الله».[1]

إن بسم الله التي قالها عيسى هي نفسها التي قالها هذا الرجل القصير لكن حينما تكون مع الإخلاص والتقوى تكون مقبولة، بسم الله هذه بدون تقوى وإخلاص لا تكون مقبولة ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ **في كل أعمالنا وليس فقط في شؤوننا العبادية، في مختلف علاقاتنا، في تجارتنا وكسبنا ودرسنا إذا أردنا التوفيق يجب أن نخلص النية لله تبارك وتعالى.**

* * *

(١) راجع نص الرواية في الكافي/ للكليني: ج ٢، ص ٣٠٦.

التأمل العشرون:

حوافز للتقوى

قال الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾.

لم يكتف القرآن الكريم حين دعا إلى التقوى ببيان الثواب والدرجات العالية للمتقين، ولم يكتف بقوله:

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾.(١)

﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾.(٢)

وإنما أشار إلى حوافز ثلاثة تدعوا إلى إلتزام التقوى:

الحافز الأول: الرقابة الإلهية

يقول القرآن أنكم تحت نظر الله تبارك وتعالى فلا يفوته شيء من أعمالكم ولهذا انتم في موضع الرقابة الإلهية في فعلكم وكلامكم ونواياكم، وحين يكون الإنسان تحت رقابة الله تعالى يجب أن يكون متقياً، يقول الله تعالى تأكيداً لهذه الحقيقة:

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾.(٣)

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.(٤)

---

(١) التوبة: ٤.

(٢) النحل: ١٢٨.

(٣) المائدة: ٧.

(٤) الحشر: ١٨.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.(١)

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.(٢)

يريد القرآن الكريم أن يقول: أيها الإنسان يجب أن تكون من أهل التقوى لأن جميع أعمالك وكلماتك وحركاتك مسجلة، إنه ﴿عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾، ﴿خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

الحافز الثاني: اللقاء مع الله

إن الله الذي راقبكم في الدنيا سوف تلتقون معه يوم القيامة، إذن لابد أن تكونوا مستعدين لهذا اللقاء.

وإلى هذا الحافز جاءت الإشارة القرآنية في قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾.(٣)

الحافز الثالث: الحساب الإلهي

إن الله في الدنيا يراقبكم وسوف تلتقون به ثم هو محاسبكم يوم القيامة فلا بدّ أن تكونوا من أهل التقوى:

وإلى هذا الحافز جاءت الإشارة القرآنية في قوله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾.(٤)

هذه ثلاث حوافز نحو التقوى سوف نتحدث عنها تباعاً.

---

(١) الحجرات: ١.

(٢) البقرة: ٢٣٣.

(3) البقرة: ٢٠٣.

(٤) آل عمران: ١٩٩.

الحديث عن الرقابة الإلهيّة:

حديثنا اليوم عن الرقابة الإلهية.

جاء شاب إلى الإمام الحسن عليه السلام وقال: يا ابن رسول الله إني رجل لا صبر لي عن المعصية، فعظني لعل الله يرفع عني هذا البلاء.

أجابه الإمام الحسن عليه السلام: إذا أردت أن تعصي الله فلا تأكل من رزق الله ثم افعل ما شئت.

قال الشاب: ليس لي طاقة على ذلك.

فقال عليه السلام: إذا أردت أن تعصي الله فاطلب موضعاً لا يراك الله فيه ثم افعل ما شئت.

قال الشاب: هذه أصعب من الأولى.

قال عليه السلام: إذا أردت أن تعصي الله فاخرج عن ولاية الله وسلطان الله عليك.

قال الشاب: وهذه أصعب أيضاً، أين أذهب بعيداً عن قدرة الله وولاية الله وسلطانه؟

قال عليه السلام: إذا أردت أن تعصي الله وجاءك ملك الموت فادفعه عنك وأذنب ما شئت.

قال الشاب: هذه أيضاً ليس لي قدرة عليها.

قال عليه السلام: إذا جاءك مالك خازن النيران حتى يأخذك إلى النار فادفعه عنك ثم افعل ما شئت.

قال الشاب: هذه أيضاً لا أقدر عليها.

فقال عليه السلام: أنت تأكل من رزق الله وتسكن في أرض الله

وتحت قدرته ولا تستطيع أن تدفع ملك الموت ولا تستطيع أن تدفع خازن النيران، أنت مع كل هذا الوضع تريد المعصية؟

فاتعظ الرجل بهذه الموعظة وتاب.(١)

الرقابة الإلهية وتقوى الله مطلوبة لأن الله بكل شيء عليم، عليم بذات الصدور، لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات والأرض، لا يضيع على الله مثقال ذرة.

رقابة الله تعالى التي تبدأ من نفس الإنسان ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً﴾،(٢) **فاللسان يوم القيامة يشهد على الإنسان والجوارح تشهد، وحتى الجلد يشهد أيضاً:**

﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾،(٣) **وهكذا باقي الجوارح تشهد على الإنسان.**

ثم الملائكة الموكلون بتسجيل أعمال الإنسان:

﴿ما يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾.(٤)

وفوقهم الله الذي لا يخفى عليه شيء، ولهذا نقرأ في دعاء كميل:

«... أن تهب لي في هذه الليلة وفي هذه الساعة كل جرم أجرمته وكل ذنب أذنبته وكل سيئة أمرت بإثباتها الكرام الكاتبين، وكنت أنت الرقيب عليّ من ورائهم _ إذا خفي شيء عن هؤلاء

---

(١) راجع بحار الأنوار ج٧٥، ص١٢٦، ح٧.

(2) الإسراء: ١٤.

(٣) فصلت: ٢١.

(٤) ق: ١٨.

الملائكة فالله لا يخفى عنه شيء _ والشاهد لما خفي عنهم، وبرحمتك أخفيته، وبفضلك سترته».

الحديث عن لقاء الله:

قلنا أن الحافز الثاني هو لقاء الله.

حينما أمرنا القرآن الكريم بالتقوى ذكرنا أنكم ستشهدون أثرها عند لقاء الله. إذن هناك لقاء مع الله وهو مفهوم وحقيقة غير مفهوم الحشر والجزاء ومشاهدة الأعمال.

في اعتقاداتنا الإسلامية أن هناك حشرا إلى الله:

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[١] لهذا يسمى يوم القيامة يوم الحشر.

﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾.[٢] ﴿ذلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ﴾[٣] يوم القيامة هو يوم الجمع، يوم الحشر، هذه حقيقة أولى.

وهناك حقيقة أخرى هي أننا في يوم الحشر نأخذ جزاءنا: ﴿الْيَوْمَ تُجْزى كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ﴾[٤] ولهذا يوم القيامة يسمى يوم الجزاء: ﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ ما قَدَّمَتْ يَداهُ وَيَقُولُ الْكافِرُ يا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرابا﴾.[٥]

وهناك حقيقة ثالثة هي مشاهدة نفس الأعمال التي نؤديها في

(١) البقرة: ٢٠٣.
(٢) التكوير: ٥.
(٣) هود: ١٠٣.
(٤) غافر: ١٧.
(٥) النبأ: ٤٠.

الدنيا يوم القيامة، نشاهد الصلاة، الصوم، الصبر، والفاسق يشاهد المعاصي، الكذب والغيبة.

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ﴾،[١] ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً﴾[٢] يعني هذه الصلاة التي تصلونها الساعة مثلاً تشاهدونها يوم القيامة نفسها.

هذه حقائق ثلاث: الحشر، الجزاء، وحضور الأعمال.

حقيقة اللقاء:

لكن هناك حقيقة رابعة مهمة كبرى يؤكد عليها القرآن الكريم وهي حقيقة اللقاء مع الله، إنها غير اللقاء مع الصلاة وغير الحشر يوم القيامة وغير جزاء الأعمال، إنما هي حقيقة أننا نلتقي بالله:

﴿وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلاقُوهُ﴾.[٣]

ماذا يعني اللقاء مع الله عند العلماء؟

القرآن الكريم يعطي ترجمة لهذا اللقاء، فمرة يعبر عنه بالنظر إلى وجه الله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ * إِلى رَبِّها ناظِرَةٌ﴾[٤] إذن هناك نظر إلى وجه الله، ومرة يعبر عنه بقوله: ﴿وَجاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً﴾.[٥]

ماذا يعني لقاء الله؟

(١) الزلزلة: ٧.
(٢) آل عمران: ٣٠.
(٣) البقرة: ٢٢٣.
(٤) القيامة: ٢٢ و٢٣.
(٥) الفجر: ٢٢.

هل المسألة مجازية؟

بعض العلماء قال أن لقاء الله يعني لقاء الجنة بالنسبة للمؤمنين ولقاء النار بالنسبة للكافرين، يعني اللقاء مع رحمته أو اللقاء مع عذابه، وهذا يعني أن الاستعمال القرآني هنا هو استعمال مجازي فلا يوجد لقاء مع الله مباشرة وإنما لقاء مع آثار الله.

لكن الصحيح أن القرآن الكريم إذا بقينا مع ظهوره فإنه لا يقبل هذا التأويل، فلقاء الله هو حقيقة لا تقبل التأويل، قال تعالى:

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلاقُوهُ﴾.

لقاء الله يجب أن نحمله على المعنى الحقيقي للكلمة، يعني لقاء الحقيقة الكبرى للوجود، الحقيقة المطلقة التي لا حدود لها ولا نهاية لها، وما الجنة والنار، الحشر والنشر، والصراط والميزان إلا ترجمة لتلك الحقيقة.

هناك حقيقة كبرى هي التي نسميها (الله تبارك وتعالى) الحقيقة المطلقة الكبرى، منذ الأزل وإلى الأبد، نلتقي بها يوم القيامة حيث لا حواجز ولا سدود ولا نحتاج إلى عين ننظر بها، إنما هناك لقاء حقيقي حيث تنكسر وتنعدم الجسور، هناك حشر عند ربهم ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾[1] لقاء الله بالمعنى الحقيقي.

رؤية الله:

رؤية الله تكون إذن بالمعنى الحقيقي، وليس بمعنى أن الله ننظر إليه بهذه العين أصلاً فهذه ليست رؤية، بل أن الرؤية الحقيقية أعمق من ذلك:

(١) القمر: ٥٥.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ * إِلى رَبِّها ناظِرَةٌ﴾ **ليس فقط ناظرة إلى الأشجار والأنهار وحور العين وإنما ناظرة إلى ربها.**

لقاء الله شيء أعظم من مشاهدة الجنة، ولقاء الله أعظم من كل الأمور المادية الموجودة في الجنة.

لهذا الإمام السجاد عليه السلام يقول: «فأنت لا غيرك مرادي، ولك لا لسواك سهري وسهادي، ولقاؤك قرة عيني، ووصلك منى نفسي ورؤيتك حاجتي».

«وكن انيسي في وحشتي، ومقيل عثرتي، وغافر زلتي، وقابل توبتي ومجيب دعوتي، وولي عصمتي، ومغني فاقتي، ولا تقطعني عنك ولا تبعدني منك، يا نعمتي وجنتي، ويا دنياي وآخرتي، يا أرحم الراحمين».[1]

الحديث عن الحساب الإلهي:

الرقابة الإلهية أولاً، واللقاء مع الله ثانياً، ثم الحساب ثالثاً هي ثلاث حوافز للتقوى. وقد تحدثنا عن الحافز الأول والثاني، وحديثنا الساعة عن الحساب الإلهي.

﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ ما كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسابِ﴾.[2]

أيها العباد إن وراءكم حساباً وجزاءاً ومساءلةً:

﴿قِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُلُونَ﴾،[3] ﴿لِتُجْزى كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ﴾.[4]

(1) الصحيفة السجادية/ ص٤١٢.

(٢) إبراهيم: ٥٠.

(٣) الصافات: ٢٤.

(٤) غافر: ١٧.

فإذا كان هناك سؤال أو مسألة فاستعدوا أيها العباد ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسابِ﴾.

الحساب قضية عامة لكل الخلق «فلا تجوز قدما عبد على الصراط حتى يُسال عن أربع _ كما في الحديث الشريف _ عن عمره فيمّ أفناه، وعن شبابه فيمّ أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيمّ أنفقه، وعن حبّ أهل البيت».[1]

بدون حساب:

لا يستثنى من ذلك أحد، إلا طائفة واحدة يستثنيها الله من الحساب هم الصابرون:

﴿إِنَّما يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسابٍ﴾.[2]

أسأل الله أن يجعلنا وإياكم من الصابرين.

أنواع الحساب:

الحساب هناك على مستويين: حساب يسير، وحساب عسير.

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحاسَبُ حِساباً يَسِيراً وَيَنْقَلِبُ إِلى أَهْلِهِ مَسْرُوراً﴾.[3]

وهناك حساب عسير.

(١) بحار الأنوار/ ج٧٤/ ص١٦٠ والحديث عن رسول الله ﷺ.

(٢) الزمر: ١٠.

(٣) الإنشقاق: ٧ - ٩.

﴿أُولئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسابِ وَمَأْواهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهادُ﴾.[1]

المؤمنون يخشون ربهم ويخافون سوء الحساب، اللهم لا تحاسبنا، وان حاسبتنا فاجعل حسابنا يسيرا.

الإنسان يحاسب نفسه:

﴿اقْرَأْ كِتابَكَ كَفى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً﴾.[2]

ثم أن الأنبياء والأئمة الأطهار عليهم السلام يقفون عند الحساب أيضاً لاستقبال أوليائهم والشفاعة لهم، ولهذا نقرأ في زيارة الجامعة:

«وإن إياب الخلق إليكم وحسابهم عليكم».

حسابكم يا شيعة أمير المؤمنين على أمير المؤمنين وعلى فاطمة الزهراء عليها السلام، وهذا لا يتنافى مع كون مرجع العباد كلهم إلى الله المحاسب، ولهذا فإن علياً عليه السلام _ بإجماع الروات السنة والشيعة واتفاق كل المذاهب الإسلامية _ هو قسيم الجنة والنار،[3] والحد الفاصل بين الجنة والنار.

اللهم اجعل حسابنا يسيراً واعف عنا ولا تؤاخذنا، ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين.

* * *

(١) الرعد: ١٨.

(٢) الإسراء: ١٤.

(3) انظر عيون أخبار الرضا: ج١، ص٩٢، ح٣٠. والبداية والنهاية لابن كثير: ج٧، ص٣٩٢.

التأمل الحادي والعشرون:

موانع من التقوى

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ﴾.[1]

دوافع وموانع:

هناك بحثان في التقوى: بحث عن الدوافع نحو التقوى، وبحث عن الموانع من التقوى، القرآن الكريم يشير إلى كلا البحثين وكلا الموضوعين، القرآن الكريم يتحدث كثيراً عن الدوافع نحو التقوى، يشوّقنا ويدفعنا للتقوى والتي سبق وأن أشرنا في خطب ماضية إلى عدد منها مثل النجاة في الدنيا، والنجاة في الآخرة، والرزق، اليسر، الفرقان، النصر على الأعداء، دفع الكيد، كل هذه من نتائج التقوى.

والقرآن الكريم يتحدث عن النجاة فيقول: ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ﴾.[2]

ويتحدث عن الرزق قائلاً: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾.[3]

---

(١) البقرة: ٢٠٦.

(٢) الزمر: ٦١.

(٣) الطلاق: ٢ و٣.

ويتحدث عن اليسر قائلاً: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً﴾.[1]

وهذه كلها يمكن اعتبارها دوافع نحو التقوى.

الموانع من التقوى:

المهم في حديثنا هذا اليوم البحث عن الموانع من التقوى، ما الذي يمنع الإنسان من أن يكون من المتقين مع وجود تلك الدوافع وتلك المشوقات وتلك النتائج العظمى للمتقين؟

الكثير من الناس يمتنعون من التقوى، فما الذي يمنعهم؟

القرآن الكريم يسجل عدداً من الموانع:

١ ـ الجهل: نتيجةً لجهل الإنسان بآثار التقوى، وغفلته عن عذاب الآخرة وثواب الآخرة، وجهله بعطاء الله للمتقين في الدنيا، يزهد بالتقوى فلا يكون من المتقين، ولهذا نجد القرآن الكريم يدعونا لأن نعلم أن الله مع المتقين ولا نجهل هذه الحقيقة ونتائجها العظيمة.

قال الله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾[2] **واعلموا أي ليكن لديكم علم بأن الله مع المتقين في الدنيا ومعهم في الآخرة.**

قال الله تعالى مشيراً إلى حقيقة الجهل لدى العاصين: ﴿يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً﴾.[3]

إذن هم يتورطون بالمعاصي لماذا؟ لجهلهم بواقع الأمر، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

---

(١) الطلاق: ٤.

(٢) البقرة: ١٩٤.

(٣) الكهف: ١٠٤.

٢ ـ الإعتزاز بالإثم: يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ﴾[١] **يعني أن هذا الإنسان يعرف أن عمله خطأ، ولكن تأخذه العزة بالإثم ويكون غير مستعد للتنازل بسبب الغرور النفسي، فمثلاً أولئك الذين كانوا مع حزب البعث وصدام اكتشفوا اليوم أنهم على خطأ، عرفوا الحقيقة لكن بعضهم أخذته العزة بالإثم، تقول له إرجع إلى هذا الشعب، تب إلى الله. ابتعد عن هذا الخطأ ولكن تأخذه العزة بالإثم، رغم أن صدام قد ألقي القبض عليه وعاد ذليلاً حقيراً.**

لكن بعض الإرهابيين تأخذهم العزة بالإثم ﴿وَإِذا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ﴾.

القرآن الكريم يقول لا تعجلوا فإن جهنم وراء هؤلاء.

٣ ـ الشيطان: القرآن الكريم دائماً يذكرنا بأن هناك عدو هو الشيطان الذي يمنعكم من الطاعات والعبادات ويدعوكم للمعاصي، ﴿إِنَّما ذلِكُمُ الشَّيْطانُ يُخَوِّفُ أَوْلِياءَهُ﴾،[٢] **وليس فقط الأعداء يخوفون المؤمنين إنما الشيطان يتحدث مع المؤمنين، يقول لهم يجب أن تخافوا وتحذروا، العدو أقوى منكم، أنتم ضعفاء.**

القرآن الكريم يقول: ﴿إِنَّما ذلِكُمُ الشَّيْطانُ يُخَوِّفُ أَوْلِياءَهُ فَلا تَخافُوهُمْ﴾.[٣]

القرآن الكريم يقول: ﴿زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ﴾،[٤] ﴿الشَّيْطانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشاءِ﴾.[٥]

(١) البقرة: ٢٠٦.
(٢) آل عمران: ١٧٥.
(3) آل عمران: ١٧٥.
(٤) الأنفال: ٤٨.
(٥) البقرة: ٢٦٨.

التخويف بالفقر وهو ما يسمى اليوم بالحصار الاقتصادي، هذا التخويف إنما هو من عمل الشيطان.

التغلّب على الموانع:

على هذا الأساس نجد أن الإسلام أمام ظاهرة الجهل يدعونا للعلم، يقول: ﴿وَلا تَقْفُ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾.[١]

وأمام ظاهرة الاعتزاز بالإثم يدعونا للندم والتوبة، يقول: ﴿تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحاً﴾[٢] **فالاعتراف بالخطأ فضيلة،** ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صالِحاً ثُمَّ اهْتَدى﴾[٣] **الإنسان حينما يعصي ويأثم عليه أن يسرع إلى التوبة ويقول: إلهي أنا أخطأت والله تعالى يبدل السيأت حسنات، هذه السيئة برحمة الله وبركاته ربما تكتب حسنة إذا تاب الإنسان منها.**

ويحذرنا القرآن الكريم من الشيطان ويقول: ﴿فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾[٤] **أساساً اعرفوا أن العدو متربص بكم دائماً، اتخذوه عدواً دائماً.**

يقول القرآن الكريم ﴿كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالاً طَيِّباً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطانِ﴾.[٥]

ويقول: ﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْراناً مُبِيناً﴾.[٦]

(1) الإسراء: ٣٦.
(٢) التحريم: ٨.
(٣) طه: ٨٢.
(٤) فاطر: ٦.
(٥) البقرة: ١٦٨.
(٦) النساء: ١١٩.

ويقول: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾.[١]

ويقول: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾.[٢]

تلك هي أهم الموانع من التقوى كما يشير إليها القرآن الكريم.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يعصمنا من كيد الشياطين والجهل والغرور بالإثم والمعصية.

* * *

(١) الأعراف: ٢٠٠.

(٢) فاطر: ٦.

التأمل الثاني والعشرون:

انعكاس التقوى: الفرد والمجتمع*

قال الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾.(١)

الآية من سورة التوبة، وهي تأمرنا بشيئين:

١ ـ تقوى الله.

٢ ـ أن نكون مع الصادقين.

إذن هناك تقوى يمكن أن نسميها التقوى الفردية، وهناك تقوى يمكن أن نسميها التقوى الجمعية بمعنى أن نكون مع جمع المتقين الصادقين.

---

* سوف نتحدث في هذا التأمل وما بعده عن انعكاسات التقوى على الواقع السلوكي والاجتماعي للإنسان وتطبيقاتها على أرض الواقع، حيث نلاحظ أن القرآن الكريم يؤكد على حقيقة أن التقوى ليست مجرد حالة قلبيّة باطنيّة للإنسان، بل لا بدّ أن تترجم وتنعكس على الواقع السلوكي والحياتي للإنسان، سوف نلاحظ ربط القرآن الكريم بين التقوى وبين العدل، والصدق، والوفاء بالعهد، وقبل ذلك ربطها بحركة الإصلاح الاجتماعي واعتبارها ظاهرة اجتماعية وليست حالة فردية.

(١) التوبة: ١١٩.

معنى ذلك أن الإسلام لا يريد للمؤمن أن يعيش معزولاً بتقوى فردية بعيداً عن المجتمع الصالح.

الإسلام يدعونا لأن نكوّن جماعة صالحة ونكون مع الجماعة الصالحة، وكل منا يسأل نفسه، مع من هو؟ ومن أصحابه؟ ومن جماعته؟ ومن أصدقاؤه؟

من هم الصادقون:

يقول الإمام الباقر عليه آلاف التحية والسلام عن (الصادقين) في قوله تعالى: ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ **إنهم آل محمد** صلى الله عليه وآله.(١)

وفي الرواية عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ **قال: مع علي وأصحابه.**(٢)

هؤلاء هم الصادقون الذين نزل فيهم قوله تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضى نَحْبَهُ ـ **وهو حمزة سيد الشهداء** ـ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَما بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾(٣) **وهو عليٌّ** عليه السلام»(٤) **أولئك هم الصادقون الذين أمرنا الله أن نكون معهم، بقوله:** ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾.

---

(١) في بحار الأنوار: ج٢٤ ص٣١: عن جابر الأنصاري عن الباقر عليه السلام في قوله: ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ أي مع آل محمد عليهم السلام.

(٢) في بحار الأنوار ج٣٥، ص٤١٤: قال السيوطي في تفسيره عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ قال: مع علي بن أبي طالب.

(٣) الأحزاب: ٢٣.

(٤) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب: ج١، ص٣٠٤. في بحار الأنوار ج٢٠، ص٢٣٢ عن أبي جعفر عليه السلام في قوله من المؤمنين... ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضى نَحْبَهُ﴾ أي أجله وهو حمزة وجعفر بن أبي طالب ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ﴾ أجله يعني علياً عليه السلام، التوبة: ٢٠.

كيف نكون مع الصادقين؟

كل واحد منا يسأل نفسه حينما أمره الله بالتقوى وبأن يكون مع الصادقين كيف أكون مع الصادقين؟ هل بمجرد الاعتقاد؟ هل بمجرد المحبة؟

نحن كلنا نعتقد برسول الله ﷺ وبآل بيته عليهم السلام ونحبهم، لكن حين نريد أن نكون معهم أي مع الصادقين كيف نكون؟ وما هي آليات ذلك؟ هل نحتاج إلى عمل؟ أم يكفي محض الاعتقاد والمودة؟

القرآن الكريم هو الذي يشرح لنا ذلك في الآية اللاحقة بعد قوله تعالى: ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾، حينما يقول: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ﴾[1] فمجرد أن يعلنوا إيمانهم لا يكفي، ما كان لهم أن يتخلفوا في الموقف والعمل والقرار والميدان عن رسول الله ﷺ ﴿وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ﴾، يعني لا يبتعدوا عنه ولا يرغبوا بالسلامة دونه ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ﴾[2] هؤلاء هم مع الصادقين، وذلك بان يكونوا مع إمام زمانهم في الموقف وليس بمحض الاعتقاد والمودة.

هذا هو ما نقرؤه أيضاً في الزيارة الجامعة الكبيرة لأئمة الهدى عليهم الصلاة والسلام الواردة عن إمامنا علي الهادي عليه آلاف التحية والسلام:

«بأبي أنتم وأمي وأهلي وأسرتي، أُشهد الله وأُشهدكم أني مؤمن بكم

(١) التوبة: ١٢٠.

(٢) التوبة: ١٢٠.

وبما أمنتم به، كافر بعدوكم وبما كفرتم به، مستبصر بكم وبضلالة من خالفكم، موال لكم ولأوليائكم، مبغض لأعدائكم ومعادٍ لهم، سلم لمن سالمكم وحرب لمن حاربكم، محقق لما حققتم، مبطل لما أبطلتم». ففي هذا المقطع إشارة إلى الاعتقاد أولاً، ثم الولاء القلبي ثانياً، ثم الموقف العملي ثالثاً.

التقوى حالة اجتماعية:

التقوى في القرآن الكريم يتم التعامل معها ليس على أساس أنها حالة فردية فقط، وإنما على أساس أنها حالة اجتماعية وظاهرة حضارية.

التقوى وإن كانت هي من شأن الفرد في نفسه ولكن أعطاها القرآن الكريم بعداً اجتماعياً ولهذا جعلها من القضايا التي يجب التواصي بها والتفاعل المشترك معها، لاحظوا ذلك في قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾.[1]

وفي آية أخرى يقول: ﴿وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾.[2]

التقوى مظهر حضاري:

لاحظوا كلمة (تعاونوا) وكلمة (تناجوا) فهي تعني أن هذا الفعل الذي أنتم مدعوون له هو فعل اجتماعي حضاري متبادل مشترك بينكم وبين الآخرين وليس حالة فردية، وهكذا قوله ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ فنحن في التقوى يجب أن نكون جزءاً من كل، والكل هو الجماعة المتعاونة على البر والتقوى.

(١) المائدة: ٢.

(٢) المجادلة: ٥٨.

إذن التقوى هي حالة ومظهر اجتماعي يجب التواصي والتعامل المشترك معه، بحيث يشكل حالة مشتركة بيننا وبين الآخرين، تعاونوا وتناجوا بالبر والتقوى.

التقوى يقابلها العدوان:

وفي مقابل البر والتقوى يوجد الإثم والعدوان دائماً، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾، التقوى في مقابل العدوان، والبر في مقابل الإثم.

كل عمل صالح مثال للتقوى:

على هذا الأساس نستطيع أن نفهم أن كل عمل صالح اجتماعي يصب في خير المجتمع هو يمثّل حالة من التقوى.

حينما ندعو اليوم لبناء العراق فإنه حالة من حالات التقوى، وحدة العراق هو حالة من حالات التقوى، استقلال العراق هو حالة من حالات التقوى، أمن العراق هو حالة من حالات التقوى، لأن هذه العناوين في مقابلها عدوان دائماً، فالدعوة للاستقلال هي تقوى، والدعوة للأمان هي دعوة للتقوى، والدعوة للإعمار والبناء هي دعوة للتقوى أيضاً وهكذا.

وعلى هذا الأساس فإن كل عمل يصب في خدمة المجتمع سيكون من التقوى كما إن الصلاة من التقوى، ومعنى ذلك أن عمل الأستاذ في الجامعة والمدرس في المدرسة، الكاسب في محله، الموظف في دائرته، الطبيب في المستشفى، الفلاح في مزرعته هو تقوى، كل عمل يصب لإعمار المجتمع هو تقوى حيث يقول القرآن

الكريم: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[1] البر بينه وبين التقوى أخوّة وصداقة واشتراك، وطالما كان هناك بر في مدرسة ومزرعة أو محل أو مسجد فإن ذاك تقوى.

وحينما يوصينا القرآن الكريم بالبر والتقوى يجب أن ننتبه إلى أن التقوى مرة تمثل حالة فردية ومرة حالة اجتماعية، اليوم نحن حينما ندعو لمجتمع المتقين والصالحين فإنه يعني المجتمع العامر المزدهر بالاستقلال والكرامة والأمان والسعادة والثراء والغنى هذا هو مجتمع المتقين لأن هذا هو البر، ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ وعلى هذا الأساس فإن كل واحد منا أينما كان في مواقع العمل يجب أن يفكر أن يجعل عمله عبادة، تقوى، مقرباً إلى الله تعالى، ذاك الموظف البسيط والكاسب والفلاح البسيط يمكن أن يجعل عمله من أعمال المتقين.

التقوى والبرّ الاجتماعي:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾.[2]

المناجاة تعني المذاكرة في الخفاء والسر، تذاكروا مع بعضكم بالتقوى والبر.

هذه الآية الكريمة من سورة المجادلة فيها مجموعة دلالات مهمة فيما يرتبط بموضوع التقوى:

---

(1) المائدة: ٣.

(٢) المجادلة: ٩.

أولاً: التقابل الدائم بين الإثم والعدوان من طرف وبين البر والتقوى من طرف ثان، يعني أينما تجدون إثماً وعدواناً يوجد في مقابله بر وتقوى، معنى هذا أن التقوى هي الحالة المضادة للعدوان، المتقي هو الذي يرفض الإثم والمعاصي، ويرفض العدوان أيضاً ﴿فَلا تَنَاجَوْا بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالبِرِّ وَالتَّقْوى﴾ هذا التقابل يعطي في الحقيقة دلالة على هوية الإسلام، فالإسلام على طول التاريخ لم يكن مع الإثم والعدوان بل مع البر وهو عمل الخير والإحسان ومع التقوى، هذا هو الإسلام، ولهذا يقول القرآن الكريم في آية أخرى:

﴿وَتَعاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوى وَلا تَعاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوانِ﴾. (١)

ثانياً: هذه الآية ترادف التقوى مع البر وهو العمل الاجتماعي الصالح، يعني أن القرآن لا يطرح التقوى خالية ووحدها، فلا بدّ أن يكون مع التقوى خير وإحسان ومحبة وعطاء ونفقة وعمل اجتماعي جيد، المتقي لا يكون إنساناً ظالماً، بل يكون صاحب اليد المحسنة.

التقوى ليست خالية، بل هي دائماً عبارة عن حالة عبادية بين الإنسان وبين الله تعالى مقرونة بالبر، بل يجعل البر قبل التقوى، الخير وعمل الإحسان أولاً بعدها تقوى.

ثالثاً: في الآية تحويل التقوى إلى ظاهرة اجتماعية.

كيف نفهم التقوى؟ هل هي صلاة الإنسان في المسجد؟ أو قراءة القرآن في البيت؟ أم هي ظاهرة اجتماعية يتحدث بها الناس في مجالسهم ويتواصى بها المؤمنون في محادثاتهم؟

(١) المائدة: ٢.

حينما نجلس لا بدّ أن نتحدث بالتقوى، حينما نلقي محاضرة لا بدّ أن نتكلم عن التقوى، حين يجلس أربعة أفراد أو خمسة فيما بينهم وفي الحديث السري أيضاً لا بدّ أن يكون الكلام في التقوى، وهكذا تتحول التقوى إلى ظاهرة اجتماعية بدلاً من مجالس البطالين في المقاهي مثلاً أو مشاهدة الأفلام الخليعة أو الغيبة والكذب وما شاكل ذلك.

الإسلام يدعو إلى تحول المجالس إلى تذاكر بالتقوى وقصص الأولياء والمتقين والصالحين، هذا هو معنى تناجوا بالبر والتقوى.

القرآن الكريم يؤكد الوصية بالبر ويؤكد على التقوى ويقول أنه ﴿ما يَكُونُ مِنْ نَجْوى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رابِعُهُمْ﴾.

الله يشهد المناجاة:

أيها الناس إذا جلستم وحدكم في غرفة مغلقة فإن الله معكم يسمع كلامكم بل حتى الحديث القلبي يعرفه الله، ﴿ما يَكُونُ مِنْ نَجْوى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سادِسُهُمْ وَلا أَدْنى مِنْ ذلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ﴾،(١) يعني الله تبارك وتعالى مع الإنسان أينما يكون في سره ونجواه وحديثه.

﴿ما يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾.(٢)

كل كلمة تصدر من الإنسان فإن الله تبارك وتعالى يعلمها، هناك رقيب عتيد.

ويقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ﴾.(٣)

(1) المجادلة: ٧.

(٢) ق: ١٨.

(٣) آل عمران: ١١٩.

تحية أهل الجنة:

يقول المفسّرون: إن قوله تعالى ﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا إِذا تَناجَيْتُمْ فَلا تَتَناجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوانِ...﴾ **والتي جاءت بعد قوله تعالى** ﴿وَإِذا جاؤُكَ حَيَّوْكَ بِما لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾ **إنما جاءت حيث كان الجاهلون يدخلون على الرسول** ﷺ **ويقولون: أنعم صباحاً، أنعم مساءاً، يعني صباح الخير ومساء الخير، فقال** ﷺ**: قد أبدلنا الله خيراً منها تحية أهل الجنة: السلام عليكم.**[1]

كانت تحيتهم صباح الخير، أما الإنسان المؤمن فأنت تعرفه من أول كلمة من خلال التحية.

إن قول (صباح الخير) حلال وليس حراماً، ومساء الخير أيضاً كذلك ولكن التحية الإسلامية هي أن تقول السلام عليكم، هي تحية أهل الجنة.

نحن إذا أردنا أن نكون من أهل الجنة فلا بدّ من الالتزام بعلاماتها، تحية أهل الجنة هي السلام عليكم، ولهذا يقول القرآن الكريم عن الجاهلين من قريش: ﴿إِذا جاؤُكَ حَيَّوْكَ بِما لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾[2] **يقولون أنعم صباحاً وأنعم مساءاً.**

اللهم أجعلنا من المتقين، وأجعل حديثنا ومناجاتنا وكلماتنا كلها في التقوى وعن التقوى وعن المتقين والصالحين، واجعلنا من أهل البر والتقوى يا أرحم الراحمين.

* * *

(١) تفسير البرهان/ ج٤/ ص٣٠٣ تفسير الآية ٨ من سورة المجادلة.

(2) المجادلة: ٨.

التأمل الثالث والعشرون:

انعكاس التقوى: الأهل والأولاد

قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجارَةُ عَلَيْها مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ ما أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ﴾.[1]

الله تبارك وتعالى في القرآن الكريم حينما دعانا إلى التقوى جاءت تلك الدعوة بثلاث صياغات:

مرة بعنوان تقوى الله، ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾.[2]

ومرة بعنوان اتقوا النار.

قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكافِرِينَ﴾،[3]

وقال تعالى: ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجارَةُ﴾.

ومرة ثالثة دعانا لأن نتقي يوم القيامة، يوم الحشر، يوم الجمع الأكبر، حيث قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾[4] **اتقوا ذلك اليوم.**

---

(١) التحريم: ٦.

(2) النساء: ١.

(٣) البقرة: ٢٤.

(٤) البقرة: ٤٨.

إذن التقوى جاءت بثلاث صياغات في القرآن الكريم، تقوى الله، وتقوى المعاد، وتقوى النار، وكلها ترجع إلى حقيقة واحدة هي أن نتقي غضب الله وسخط الله وعذاب الله.

تقوى الله معناها أن نتقي غضبه ونطلب رضاه، غضب الله تبارك وتعالى هو عذاب النار، أن نتقي غضب الله ذلك الغضب الذي يظهر بشكل جلّي يوم القيامة، يوم التغابن، حينئذ يكون الأمر بتقوى الله يعني أن نتقي يوم القيامة حيث تُنصب هناك الموازين الإلهية ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلا يُقْبَلُ مِنْها شَفاعَةٌ وَلا يُؤْخَذُ مِنْها عَدْلٌ وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾.[1]

دعوة الأهل:

الآية التي تلوتها عليكم ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ **فيها دعوة لوقاية النفس والأهل من النار** ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ﴾.

الإنسان مسؤول في الفهم الديني ليس عن نفسه فقط وإنما عن أهله وولده وعشيرته وكل من يستطيع أن يوصل إليه صوته، ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾،[2] ﴿يا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾.[3] ﴿يا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾.[4]

هذا يعطينا مفهوماً ويعطينا حكماً هو أن الإنسان مسؤول عن تربية أهله

---

(١) البقرة: ٤٨.

(٢) الشعراء: ٢١٤.

(٣) لقمان: ١٣.

(٤) لقمان: ١٧.

وولده، الأب مسؤول، الأم مسؤولة، الأخ مسؤول، في يوم القيامة يقف الصغير معتذراً إلى الله تعالى إذا لم يسمع دعوة الحق من أبيه وأمه، والأب والأم أيضاً مسؤولان إذا لم يربّيان ابنهما تربية حسنة؟

مسؤوليات تجاه الولد:

في الإسلام الأب عليه ثلاث مهمات تجاه الأولاد:

أولاً: النفقة.

ثانياً: حسن التسمية.

ثالثاً: حسن التربية.

يجب على الأب كما ينفق على ولده وأهله يجب عليه شرعاً أن يحسن تربيتهم. هذه مسؤولية، ولهذا أيها الأخوة والأخوات أيها المؤمنون والمؤمنات عليكم أن تنظروا أنفسكم وان تنظروا أهلكم وولدكم وعائلتكم وعشيرتكم فتدعوهم ليكونوا من أهل الله، ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجارَةُ عَلَيْها مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدادٌ﴾.

* * *

التأمل الرابع والعشرون:

انعكاس التقوى: قراءة الواقع

قال تعالى: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا ماذا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قالُوا خَيْراً﴾.[1]

حديثنا عن التقوى هذا اليوم في المفهوم القرآني عن انعكاس التقوى على مستوى التعامل مع الأحداث.

التقوى تنعكس على تعامل الإنسان مع أخيه، مع أهله، مع جيرانه، مع دائرته، مع الله، مع مأكله، مع ملبسه.

التقوى لها انعكاس آخر في التعامل مع الأحداث مع مختلف المجريات والتقلبات الاجتماعية والسياسية كيف يفهمها الإنسان المتقي؟

المتقي كيف ينظر للمشاكل؟ كيف ينظر للآلام؟ كيف ينظر لمصائب الدنيا؟ كيف ينظر للمعارك السياسية؟ كيف ينظر لكل معاناة الدنيا بكل أشكالها؟

المتقي له نظرة أخرى، إن (غير المتقي) يتأوه ينزعج لا يرضى بقضاء الله وقد يعترض على قضاء الله، لكن المتقي يتعامل مع الأحداث، أكبر الأحداث وأصغرها يتعامل بروحية أخرى، يرى أن الجميع هو عطية من الله تعالى جميع الأحداث حتى المرض، السجن،

(١) النحل: ٣٠.

الفقر، الألم، كلها إرادة الله وامتحانه وعطيته فهو يشكر الله عليها جميعاً في السراء والضراء، هذا هو المتقي.

لاحظوا هذه الفكرة كيف يصورها القرآن الكريم حينما يقول:

﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا ما ذا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قالُوا خَيْراً﴾ **يقولون نحن لم نر في الدنيا إلا الخير، القتل في سبيل الله هو خير، السجن في سبيل الله هو خير، المرض الذي يقدره الله هو خير، الفقر الذي يقدره الله هو خير، أصلاً المؤمن لا يرى في الدنيا إلا خيرا، ولهذا بعض الروايات تقول: «عجباً للمؤمن لا يقضي الله عليه قضاءً إلا كان خيراً له»**[1] **هذا الخير هو في الدنيا خير وفي الآخرة خير**

﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا ما ذا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قالُوا خَيْراً لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هذه الدُّنْيا حَسَنَةٌ وَلَدارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دارُ الْمُتَّقِينَ * جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَها تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ لَهُمْ فِيها ما يَشاؤُنَ كَذلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ﴾.[2]

ولهذا سيدتنا زينب عليها السلام حينما سألها الطاغية يزيد: كيف رأيت صنع الله بك؟ قالت: والله ما رأيت إلا جميلاً.

ولهذا يوسف على نبينا وعليه الصلاة السلام كان يقول: ﴿رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾.[3]

مناشيء الرؤية الايجابية:

قلنا أن التقوى لا تنعكس على الأخلاق والصلاة والصوم فقط

(١) بحار الأنوار: ج٦٨، ص١٥٢.
(٢) النحل: ٣٠ و٣١.
(٣) يوسف: ٣٣.

بل على الفهم السياسي والرؤية السياسية للأحداث، وهذا من روائع وطرائف ما يكشفه القرآن الكريم.

المؤمنون يُسألون: ماذا قدَّر الله لكم؟ ما هو تقييمكم لقرار الله في الدنيا؟ قالوا خيرا! المؤمن متفائل دائماً، ويقرأ الواقع برؤية إيجابية، ويقرأ المستقبل كذلك بروح مملوءة بالعزم ووضوح أن العاقبة للمتقين.

هذه الرؤية السياسية الإيجابية لدى المتقين في قراءة الواقع السياسي تنشأ من عدة أُمور:

١ ـ الثقة بقدرة الله تعالى وتدبيره: ﴿وَهُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.(١)

٢ ـ الثقة بولاية الله للمؤمن: بمعنى أن الله ولي المؤمنين، نحن على يقين بأن الله يحبنا ويحب عباده الصالحين والمتقين، فإذا كان يحبهم فإنه لا يفعل بهم إلا الجميل، والمحبوب لا يصنع إلا الجميل مع حبيبه.

«يا حبيب القلوب»، «يا طبيب القلوب»، الله هو حبيب القلوب، وإذا كنا على ثقة بمحبة الله تعالى وولايته لنا فسنكون على ثقة بإن النجاح معنا والتوفيق معنا:

﴿اللَّهُ وَلِيُّ الذِينَ آمَنُوا﴾.(٢)

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾.(٣)

﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الذِينَ اتقَوْا﴾.(٤)

(١) المائدة: ١٢٠.

(٢) البقرة: ٢٥٧.

(٣) البقرة: ١٩٤.

(٤) النحل: ١٢٨.

﴿نَحْنُ أَوْلِياؤُكُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا﴾.(١)

إذا كنا على ثقة بأن الله تعالى يحبنا وهو معنا إذن لا محالة هو ناصرنا.

القدرة المطلقة مع المحبة تساوي النصر والنجاح لا محالة.

٣ ـ النظرة الشمولية للواقع.

المؤمن المتقي لا ينظر إلى القضايا من زاوية جزئية، بل من مجموع الزوايا.

نحن نرى مثلاً أن حركة الحسين عليه السلام قد انتصرت ـ رغم أن الحسين عليه السلام قد قُتل ـ لأننا لا ننظر إليها من زاوية مقطعيّة زمنية ومكانية خاصة، بل من مجموع الزوايا فنجد أنها ناجحة في ترسيخ الإسلام وامتداده وتعميقه والإطاحة بالانحراف، وهكذا هي رؤية المؤمن للأحداث.

٤ ـ النص القرآني على نصر المؤمنين وتوفيقهم ونجاحهم.

القرآن الكريم يقول:

﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً﴾.(٢)

هذا خبر إلهي، والله صادق لا يخلف الميعاد.

﴿لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذىً﴾.(٣)

﴿إِنا لَنَنْصُرُ رُسُلَنا وَالذِينَ آمَنُوا فِي الْحَياةِ الدُّنْيا﴾.(٤)

المتقون ينظرون نظرة إيجابية للمستقبل على أساس إخبار إلهي ونص قرآني.

(١) فصلت: ٣١.

(٢) آل عمران: ١٢٠.

(٣) آل عمران: ١١١.

(٤) غافر: ٥٠.

ما هي الحسنة؟

بعض الروايات تفسر الحسنة في الدنيا في قوله تعالى ﴿مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْها﴾[١] **بأنها ولاية أمير المؤمنين،**[٢] ﴿وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾**، هؤلاء الذين ربحوا الحسنه في الدنيا وهي ولاية أمير المؤمنين وإن كان في الدنيا أصابهم خوف وتشريد وظلم واضطهاد، وعلى طول التاريخ كان شيعة أهل البيت مضطهدين مشردين مبعدين لكن هؤلاء هم الذين يقولون يوم القيامة** ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنا مُشْفِقِينَ﴾[٣] **هؤلاء ما هو جزاؤهم؟**

﴿وَوَقانا عَذابَ السَّمُومِ﴾**، هؤلاء الذين كانوا في الدنيا مشفقين خائفين هم يوم القيامة آمنون،** ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنا مُشْفِقِينَ * فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنا وَوَقانا عَذابَ السَّمُومِ﴾**،**[٤] **هذه هي رؤية المتقين للأحداث.**

نحن اليوم هكذا أيضاً نرى الأحداث سواء في العراق أو خارج العراق نراها برؤية المتقين، ما فعل الله بنا إلا خيراً ولا يريد بنا الله تعالى إلا خيراً ﴿وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.[٥]

* * *

(١) النمل: الآية ٨٩.

(٢) بحار الأنوار: ج٧، ص١١٧، ح٥٤.

(٣) الطور: ٢٦.

(٤) الطور: ٢٦ و٢٧.

(5) البقرة: ٦٢.

التأمل الخامس والعشرون:

انعكاس التقوى: الإصلاح الاجتماعي

قال الله تعالى: ﴿فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.[1]

حينما أمر الله تعالى بالتقوى امرنا معها بالإصلاح.

فقال: ﴿فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

وقال تعالى: ﴿فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.[2]

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً﴾.[3]

هناك إذن ربط وقرن بين عملية التقوى وبين عملية الإصلاح، فنحن بمقدار ما يجب إن نكون متقين يجب أن نكون مصلحين.

الإصلاح هو جوهر حركة الأنبياء، ولذا قال نبي الله شعيب: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾[4] **حركة الأنبياء هدفها من التقوى الإصلاح بمقدار ما هو مقدور الإنسان.**

وإمامنا الحسين عليه السلام في حركته ماذا قال؟

---

(١) الأعراف: ٣٥.

(٢) الأنعام: ٤٨.

(٣) النساء: ١٢٩.

(٤) هود: ٨٨.

قال: «أني لم اخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالما وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي».[1]

التلازم بين التقوى والإصلاح:

الإصلاح والتقوى أمران متلازمان، وهذه قضية يؤكدها القرآن الكريم.

لا يكفي أن نكون متقين بمعنى مجرد أن نؤدي العبادات وننتهي عن المعاصي، يجب إلى جانب ذلك أن نصلح أعمالنا، أنفسنا، بيوتنا، مدارسنا، مؤسساتنا، مجتمعنا، حكومتنا.

الإنسان المؤمن المتقي يجب أن يكون في طريق إصلاح كل ما حوله بدءً من نفسه وإلى أهله وعياله وإلى جيرانه ومحلته ويمتد في حركة الإصلاح، وبدون أن نتحرك نحو الإصلاح لا يمكن أن يتغير الواقع عما هو عليه ولا يكفي لان نربح الهدية الإلهية وهي قوله: ﴿لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

متى يكون ذلك؟ إذا جمعنا التقوى مع الإصلاح، فكل واحد منا يجب إن يهتم بان يحول نفسه إلى متقٍ وإلى مصلح، فالإصلاح هو جوهر حركة الأنبياء.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾.[2]

التقوى معها الإصلاح بين الأخوان، الإصلاح بين المتقاطعين.

وقال تعالى: ﴿وَلا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.[3]

---

(١) بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٢٩.

(٢) الحجرات: ١٠.

(٣) البقرة: ٢٢٤.

التقوى يجب أن يكون لها امتداد اجتماعي وليست التقوى نظرية مثالية واعتزالية بعيدة عن الامتداد الاجتماعي. إن أحد أهم صور الامتداد الاجتماعي للتقوى هي صورة الإصلاح بين الناس، الإصلاح بين ذات البين، أن يكون المؤمن المتقي دائماً باتجاه جمع الناس وتوحيد كلمتهم وقلوبهم، أينما يجد خلافاً بين اثنين يكون دوره هو الإصلاح مهما استطاع إليه سبيلا.

ثواب الإصلاح:

يقول الأمام الصادق عليه السلام: «صدقة يحبها الله؛ إصلاح بين الناس إذا تفاسدوا وتقارب بينهم إذا تباعدوا»[1] كما إنك تثاب حين تعطي الدينار والدرهم صدقة لله كذلك إذا قلت كلمة للإصلاح بين اثنين.

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «لئن أصلح بين اثنين أحب إلي من أن أتصدق بدينارين»[2] هذا في ثواب الإصلاح بين الناس، بين الزوج وزوجته، بين الأخ وأخيه، وبين الأب وابنه وهكذا.

نسال الله أن يجعلنا من المتقين وإن يمكننا للإصلاح بين الناس.

* * *

(١) الكافي: ج٢، ص٢٠٩.

(٢) المصدر السابق.

التأمل السادس والعشرون:

انعكاس التقوى: العدل

قال تبارك وتعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَداءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِما تَعْمَلُونَ﴾.[1]

القرآن الكريم في هذه الآية يأمرنا بثلاث قضايا:

أولاً: القيام لله

﴿كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ﴾، **القيام لله بمعنى أن يكون الإنسان حاضراً في الدفاع عن الدين، عن المستضعفين، عن الوطن، عن القيم، أن يجد نفسه مسؤولاً وهذا هو معنى المسؤولية العامة.**

القيام لله أن يتحرك الإنسان لله، يتحدث لله، يقول كلمة الحق لله ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ﴾.

ثانياً: الشهادة بالقسط:

أن نكون شهداء بالقسط والحق حيثما تحتاج المسالة إلى شهادة سواء في القضاء والمحكمة أو في أي مجال آخر، أن نكون شهداء لكن بالقسط والعدالة وليس شهداء بالزور والباطل.

(١) المائدة: ٨.

ثالثاً: العدل:

﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوى﴾[1] **لا تجركم النزاعات والخلافات الداخلية إلى الابتعاد عن العدالة،** ﴿وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلى أَلَّا تَعْدِلُوا﴾،[2] **العدالة مطلوبة دائماً حتى في حالات الانزعاج النفسي، أنت تتألم، يؤذيك شخص من الأشخاص، يعتدي عليك، يجور عليك لكن يجب أن تحافظ على أعصابك وتكون عادلاً في كل المواقع، وهذا معنى ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا، اعدلوا هو أقرب للتقوى.**

العدل والعفو:

هذا الأمر يذكرنا بآية ثانية في سورة البقرة تقول: ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوى﴾.[3]

العدالة مرتبة مطلوبة، وهناك مرتبة فوق العدالة وهي مرتبة العفو.

يسيء لك شخص ويمكنك بمقتضى العدالة أن ترد عليه الإساءة بمثلها هذه عدالة لكن إذا عفوت عنه ذاك أقرب للتقوى.

إذا عفوت عنه ذاك عدالة وزيادة، ولهذا القرآن الكريم يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسانِ﴾[4] **الإحسان هو عدالة أيضاً لكن مرتبة متقدمة على العدالة، يعني ما وراء العدالة، عدالة وزيادة، ممكن عامل يعمل عندك باجرة خمسة آلاف دينار فإن من العدالة أن تعطيه خمسة**

(١) المائدة: ٨.
(٢) المائدة: ٨.
(٣) البقرة: ٢٣٧.
(٤) النحل: ٩٠.

آلاف دينارٍ لكن إذا زدت عليه وأعطيته ستة آلاف دينار يكون إحسانا ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسانِ﴾.

خيار العباد:

الأمام الرضا عليه السلام **حينما سئل عن خيار العباد «من هم العباد الصالحون؟» فقال: «الذين إذا أحسنوا استبشروا، وإذا أساؤوا استغفروا، وإذا أعطوا شكروا، وإذا ابتلوا صبروا، وإذا غضبوا عفوا».**[1]

هذا محل الشاهد، إذا غضبوا في ساعة الغضب عفوا، ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوى﴾.

* * *

(١) بحار الأنوار ج٦٦، ص٣٩٥، الحديث ٧٧.

التأمل السابع والعشرون:

انعكاس التقوى: الوفاء بالعهد

قال الله تعالى: ﴿بَلى مَنْ أَوْفى بِعَهْدِهِ وَاتَّقى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾.(١)

عناوين يحبها الله:

في القرآن الكريم عدة عناوين يحبها الله تعالى:

إن الله يحب المحسنين، التوابين، المتطهرين، المتوكلين، المقسطين، الذين يتبعون النبي، والذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص.

قال تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.(٢)

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾.(٣)

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾.(٤)

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾.(٥)

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا﴾.(٦)

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾.(٧)

---

(1) آل عمران: ٧٦.
(٢) البقرة: ١٩٥.
(٣) البقرة: ٢٢٢.
(٤) آل عمران: ١٥٩.
(٥) المائدة: ١٢.
(٦) الصف: ٤.
(٧) آل عمران: ٢١.

الوفاء بالعهد:

ومن جملة تلك العناوين وأهمها هو عنوان التقوى والمتقين، فقد جاء في ثلاث آيات في القران الكريم: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾.(١)

والملفت للنظر في هذه الآيات الثلاث أنها جميعاً جاءت في سياق الوفاء بالعهد والالتزام بالمواثيق.

الآية الأولى يقول فيها: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئاً وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَداً فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾(٢) **فالوفاء بالعهد حتى مع المشركين علامة التقوى.**

الآية الثانية تتحدث عن أهل الكتاب، فبعضهم يكون أميناً إذا أعطيته خزانة وكنزاً من الأموال يؤديه إليك في وقته، ولكن بعضهم إن تأمنه بدينار لا يؤديه إليك إلاّ ما دمت عليه قائماً، حينئذٍ القرآن يقول: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِماً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * بَلى مَنْ أَوْفى بِعَهْدِهِ وَاتَّقى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾.(٣)

إنه ربط عجيب بين التقوى وبين الوفاء بالعهد.

إنه لم يقل الذين يصلون، ثم يتبعه بقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾، **ولم يقل الذين يصومون، ثم يتبعه بقوله** ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾، **بل قال:** ﴿بَلى مَنْ أَوْفى بِعَهْدِهِ وَاتَّقى﴾، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾.

---

(١) التوبة: ٤.
(٢) التوبة: ٤.
(٣) آل عمران: ٧٥ و٧٦.

الآية الثالثة: قوله تعالى ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾[1] **فهذه الآية تطلب الاستقامة والوفاء بالعهد للمشركين إذا ما استقاموا ووفوا بالعهد أيضاً. وبعد هذا الطلب بالوفاء بالعهد يقول تعالى:** ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ **في الدلالة على أن الوفاء بالعهد هو من شؤون التقوى والمتقين.**

التقوى هي الوفاء:

هذا الربط يعطي معنى عظيماً؛ هو أن روح الإسلام وجوهر الدين هو الوفاء بالعهد، العهد ابتداءً فيما بيننا وبين الله تعالى، بين المخلوق والخالق هو أن نعبده ولا نعصيه، وهكذا عهد بيننا وبين الأنبياء عليهم السلام وهكذا عهد بيننا وبين الأئمة عليهم السلام، وعهد بين بعضنا والبعض الآخر.

الدين هو الوفاء بحق المعبود وهو الله تبارك وتعالى، وفاء بالعهد الذي أخذه على العباد يوم خلقهم أن يعبدوه ولا يعبدوا معه أحدا.

يوم الغدير هو يوم العهد:

ولهذا كان اسم يوم الغدير في السماء هو «يوم العهد المعهود»[2] يوم الولاية ويوم ارتباط الإنسان بالولاية لله ولرسول الله وأهل البيت عليهم السلام.

إن علامة المتقين هو الوفاء بالعهد، حينئذٍ نربح محبة الله التي كتبها للمتقين.

---

(١) التوبة: ٧.

(2) عن أبي جعفر عليه السلام قال: «... هو عيد الله الأكبر... واسمه في أسماء يوم العهد المعهود، وفي الأرض يوم الميثاق المأخوذ والجمع المشهود...». انظر البحار: ج٩٥/ ٣٠٢.

العبودية لله عهد في أعناق الناس:

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾.[1]

هذه الآية تفيد أن العبودية لله تعالى هي عهد أخذه الله تعالى على أعناق الناس يوم خلقهم، وبعثهم في عالم الذر قبل أن يولدوا في هذه الدنيا، وإن علينا في الدنيا أن نفي بذلك العهد.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من المتقين ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾.[2]

الوفاء بالعهد أحد صفات المتقين:

لقد سبق في الآية ١٧٧ من سورة البقرة ان جعلت الوفاء بالعهد أحد صفات المتقين حيث قالت:

﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾.

وقد تحدثنا عن ذلك في تأمل سابق عن صفات المتقين.

* * *

---

(1) الأعراف: ١٧٢.

(2) الأحزاب: ٢٣.

التأمل الثامن والعشرون:

انعكاس التقوى: الصدق

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِي جاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾.[1]

هناك ترابط ملحوظ في آيتين من القرآن الكريم بين التقوى وبين الصدق، كما لاحظنا في تأمل سابق الربط بين التقوى والوفاء بالعهد الذي هو صورة من صور الصدق أيضاً.

التقوى والصدق:

القرآن الكريم يقول: ﴿وَالَّذِي جاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ **الذي جاء بالصدق هو رسول الله** صلى الله عليه وآله **جاء بالصدق وهو الإسلام والقرآن.**

من الذي صدّق بالقرآن؟

هم المؤمنون، وعلى رأسهم كما جاء في روايات أهل البيت عليهم السلام **وأهل السنة أيضاً في تفسير** ﴿الَّذِي جاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾ **إن الذي صدق به هو أمير المؤمنين** عليه السلام.[2]

---

(١) الزمر: ٣٣.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢٧، ص٣٢٥ ومعاني القرآن للنحاس: ج٦/ ١٧٦.

آية أخرى تقول بعد أن ذكرت مجموعة صفات*: ﴿أُولئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾.[1] **إذن الصدق يساوي التقوى، بل هناك حصر، يعني المتقون فقط هم الصادقون،** ﴿أُولئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾.

ما هو المقصود بالصدق؟

طبعاً المقصود بالصدق ليس هو الصدق باللسان فقط وإلاّ فإن كثيرا من الناس صادقون حتى من غير المؤمنين وغير المسلمين، ذاك الصدق اللساني.

المطلوب في القرآن الكريم هو الصدق العملي فيما بيننا وبين الله وبين الإسلام وبين الأنبياء وبين القرآن وبين حق الناس وبين حق الجمهور، يجب أن نكون من الصادقين مع هؤلاء جميعاً وحينئذ نكون من المتقين.

* * *

---

* بحثنا هذا الموضوع تحت عنوان صفات المتقين فراجع التأمل رقم (٧).

(١) البقرة: ١٧٧.

التأمل التاسع والعشرون:

أثر الإيمان والتقوى على الطبيعة

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنا عَلَيْهِمْ بَرَكاتٍ مِنَ السَّماءِ وَالْأَرْضِ وَلكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْناهُمْ بِما كانُوا يَكْسِبُونَ﴾.[1]

أثر الإيمان في الطبيعة:

أشار القرآن الكريم على لسان الأنبياء إلى حقيقتين هما:

١ _ حقيقة الترابط بين الإيمان وعالم في الدنيا.

٢ _ حقيقة الترابط بين الإيمان وعالم الآخرة.

وهذا من عجائب ما كشفه الأنبياء، فقد جاء على لسان نوح وعلى لسان هود على نبينا وعليهما الصلاة والسلام، بأن الإيمان كما يحقق النجاة في عالم الآخرة كذلك يؤثر في عالم الدنيا ويغير الطبيعة أيضاً، وهذا كشف لا يمكن الوصول إليه عبر الأدوات المادية.

قال نوح: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كانَ غَفَّاراً * يُرْسِلِ السَّماءَ عَلَيْكُمْ مِدْراراً * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهاراً﴾[2] **لاحظوا (الأمطار، الأنهار، الأموال) هذه قضايا في الدنيا، تصرفات في الطبيعة، لكن نوح يتحدث عنها باعتبارها حقيقة.**

(1) الأعراف: ٩٦.

(٢) نوح: ١٠ - ١٢.

كذلك هود كشف هذا القانون الغيبي، فقال: ﴿وَيا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّماءَ عَلَيْكُمْ مِدْراراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلى قُوَّتِكُمْ﴾.[1]

إذن الخيرات الطبيعية، الذرية والتكاثر، والقوة مرتبطة بالإيمان، وليست الآخرة فقط تتأثر بالإيمان، كقوله تعالى في سورة آل عمران ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ﴾.[2]

الإيمان والتقوى:

لكن الملاحظ أن الأنبياء ذكروا أن الإيمان وحده غير كافٍ في حدوث هذه الآثار الدنيوية، بل لا بدّ أن يضاف إليه التقوى والعمل الصالح. حيث قال نوح: ﴿قُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ **وقال هود:** ﴿يا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ **وقال الله تعالى:** ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرى آمَنُوا وَاتَّقَوْا...﴾.[3] **فلا بدّ من الإيمان ومعه الاستغفار والتقوى ولا يكفي الإيمان وحده.**

التقوى في كلام الإمام الحسن عليه السلام:

نعيش ذكرى الولادة الشريفة للإمام الحسن عليه السلام الذي كان يقول:

«التقوى باب التوبة ورأس كل حكمة وشرف كل عمل».[4]

أي كل عمل لا يكون شريفاً ما لم يكن مصحوباً بالتقوى، وليس فقط الصلاة بل حتى الدراسة، الزراعة، الوظيفة، فاتقوا الله عباد

(١) هود: ٥٢.

(٢) آل عمران: ١٥.

(٣) الأعراف: ٩٦.

(٤) تحف العقول: ٢٣٢، وفي بحار الأنوار ج١٤، ص٣١٦ وفيه: التقوى رأس كل حكمة.

الله، واعلموا أنه من يتق الله يجعل له مخرجاً من الفتن ويسدده في أمره ويهيء له رشده، هذا مطلب قرآني يؤكده الإمام الحسن عليه السلام: يجعل له مخرجاً من الفتن السياسية، الشخصية، العائلية، القومية، الله يسدد المؤمنين في أمرهم ويهيء لهم مخرجاً ويخلصهم من الفتن إذا اتقوا.

* * *

التأمل الثلاثون:

التقوى هي الزاد

قال تعالى: ﴿وَما تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوى وَاتَّقُونِ يا أُولِي الأَلْبابِ﴾.[1]

الأمر بأخذ الزاد يعني هناك سفر وهناك مقصد، وهناك طريق.

الله تعالى يقول خذوا زادكم، تزودوا معناه أيها الناس انتبهوا أن ههنا سفر، السفر يحتاج إلى زاد، أما الإنسان وهو في بيته وهو في مدينته لا يحتاج إلى زاد، ولهذا القرآن حينما قال تزودوا إلفات لنا، يعني أيها الناس أنتم راحلون خذوا زادكم معكم فهاهنا سفر وهاهنا مقصد لهذا السفر وههنا طريق لهذا السفر والطريق والمقصد يحتاج إلى زاد.

الآن بشكل مجمل نسأل ما هو السفر، ما هو هذا الطريق، ما هو المقصد ثم ما هو الزاد؟

السفر هو رحلة العمر في الدنيا (الدنيا دار ممر والآخرة دار مقر).[2]

المقصد من هذا السفر معناه إلى أين نتّجه؟ إلى الله، المقصد هو الله ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً﴾[3] **جميع العباد يطوون مسافة هذا السفر ويصلون إلى**

(1) البقرة: ١٩٧.

(2) عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «الدنيا دار ممر إلى دار مقر» نهج البلاغة: ج٤/٣٣/ ح١٣٣.

(3) المائدة: ٤٨ و١٠٥.

الله تبارك وتعالى ﴿وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾[1] **تصلون إلى الله تبارك وتعالى ﴿وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ هذا هو المقصد.**

أما الطريق ما هو؟

الطريق في هذا السفر هو الصراط، والصراط صراطان صراط مستقيم وصراط منحرف غير مستقيم، هناك جادة مستقيمة توصلنا إلى الهدف، وهناك طريق منحرفة عن الجادة تسلك بنا إلى الوادي السحيق، فأي الطريقتين نختار ﴿هذا صِراطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾.[2]

هناك صراطان، صراط يؤدي إلى الجنة وهو الصراط المستقيم، وصراط يؤدي إلى النار وهو الصراط المنحرف ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.[3]

القرآن يقول أنتم فكروا في هذا الأمر، لا يحتاج إلى موعظة، الذي يمشي مكباً على وجهه هذا أفضل أم الذي يمشي سوياً على صراط مستقيم، أيها الناس ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ﴾.

أما الزاد ما هو؟

هذا السفر وهذا المقصد وهذا الطريق، الآن نحن مسافرون نريد أن نأخذ الزاد لا بدّ أن نسأل عادة في أي سفر دنيوي هذا السفر، كم يوم يطول هذا السفر؟ ما هي الصعوبات التي تواجهنا فيه؟ ماذا نحتاج

(1) البقرة: ٢٨١.

(2) الأنعام: ١٥٣.

(3) الملك: ٢٢.

في هذا الطريق؟ نحتاج هوية أحوال شخصية، نحتاج ماء وبنزين. ماذا نحتاج عادة، نسأل الآن نحن في سفر إلى الله تعالى لا بدّ أن نسأل ماذا نحتاج في هذا الطريق هل هذا الطريق مختصر أم طويل؟ هل هذا الطريق فيه صعوبات أم لا؟ ماذا نحتاج في هذا الطريق حتى نصل إلى مقصدنا؟ نحتاج إلى جواز عبور أم لا؟

نسأل القرآن ورسول الله ﷺ والأئمة الأطهار عليهم السلام، يجيبون الناس عن هذه الأسئلة، أيها الناس هذا السفر طويل يحتاج إلى زاد كثير (آهٍ آهٍ من قلة الزاد وبعد المسافة وطول الطريق)[1] وهذا الطريق طويل وهذا الطريق فيه عقبات فيه صعوبات، إن أمامكم عقبة كوداً، توجد صعوبات في الطريق، توجد ظلمات، توجد وحشة، توجد مشكلات، أيها الناس إن أمامكم عقبة كودا، أمامكم صعوبات لا تغفلوا عنها، أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «تجهزوا» يعني خذوا جهازكم معكم خذوا زادكم معكم «تجهزوا يرحمكم الله... إن أمامكم عقبة كوداً ومنازل موحشة»[2] وحشة في تلك المنازل لا بدّ لكم من الورود عليها، الإنسان يتمنى أن لا يصل إلى بيت موحش، أن لا يصل إلى منزل مخيف لكن هذه مشيئة الله، الآن لا بدّ لكم من المرور على تلك المنازل الموحشة.

أيها المؤمنون والمؤمنات هل أخذتم الزاد لهذا السفر وهذه المنازل الموحشة؟ ﴿تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾.

(1) نهج البلاغة: ج٤/ ١٦/ الكلام: ٧٧.
(2) نهج البلاغة: ج٢/ ١٨٣/ الكلام: ٢٠٤.

التقوى يعني الورع عن محارم الله، ولكن أيها المؤمنون والمؤمنات مهما أردنا أن نأخذ من هذا الزاد فالحقيقة أن زادنا قليل أمام هذا السفر الطويل والمنازل الموحشة والمسافة البعيدة.

ما عسى أن يكون زادنا؟ ما عسى أن تكون صلاتنا وصيامنا لولا كرم الرب الرحيم، لولا عفو الرب الكريم؟ ولهذا نحن لا نثق بأعمالنا بقدر ما نثق بكرم ربنا أهل التقوى وأهل والمغفرة وأهل العفو وأهل الرحمة.

يعني إلهنا أنت أهل العفو «فان لم أكن أهلاً لذلك فأنت أهلٌ لذلك» نحن نفد على الله تبارك وتعالى بغير زاد، مع الأسف أيام العمر تمضي وزادنا قليل ونحن في غفلة أمام خطورة المطبات التي أمامنا، ولكن لدينا شيء يبشرنا، لدينا شيء تَقرُّبه عيوننا وهو أننا على ولاية محمد وآل محمد ﷺ يعني صحيح أننا لا زاد لنا ولكن ركبنا في السيارة وسائق السيارة يعرف الطريق ويستطيع عبورنا إذا صارت مناطق خطرة، نحن لا نعرف الطريق ولكن ركبنا السيارة، سائقها محمد ﷺ وأهل بيته عليهم السلام، هذا هو رجاءنا أن ننجو بولايتهم لأن الله تعالى جعلهم السبيل إليه، ونحن أيضاً سلكنا معهم في هذا الطريق.

قال رسول الله ﷺ: «يا علي إذا كان يوم القيامة أقعد أنا وأنت وجبرائيل على الصراط، فلا يجوز على الصراط إلا من كانت معه براءة بولايتك»[1] يا علي.

وقال ﷺ: «يا علي ما ثبت حبك في قلب امرئٍ مؤمن فزلت به قدم على الصراط إلا ثبتت له قدم أخرى حتى أدخله بحبك الجنة».[2]

(1) بحار الأنوار: ج٨/ ٧٠.
(2) بحار الأنوار: ج٨/ ٦٩.

الصراط جسر ممدود على نار جهنم، تزل الأقدام هناك لكن رسول الله يقول يا علي: «ما ثبت حبك في قلب امرئٍ مؤمن فزلت به قدم على الصراط إلاّ ثبت الله له قدماً أخرى حتى ادخله الله بحبك الجنة».

لكن أيها المؤمنون إذا كان لدينا هذه البشرى بولايتهم عليهم السلام فاسمعوهم ماذا يقولون، يعني هذا السائق الذي يسوق في هذا الطريق اسمعوهم ماذا يوصون. علي سائق هذا الصراط، علي نحن الذين ركبنا في قافلته، اسمعوا علياً ماذا يقول، إن أمير المؤمنين عليه السلام يقول:

تزودوا أيها الناس المسافرون أيها الركاب تزودوا في أيام الفناء لأيام البقاء فقد دللتم على الزاد وأمرتم بالضعن وحثثتم على المسير، فأنما أنتم كركب وقوف، أنتم مثل ركاب في محطة في معبر لا يدرون متى يؤمروا بالسير فوراً يقال لهم تقدموا، فلا بدّ أن تتجهزوا أيها الناس «فأنما انتم كركب وقوف لا يدرون متى يؤمروا يأمروا بالسير، واعلموا أن ليس لهذا الجلد الرقيق صبرٌ على النار فارحموا نفوسكم فإنكم جربتموها في مصائب الدنيا»، أنتم جربتم أنفسكم فعرفتم ضعفها على مصيبات الدنيا فكيف تطيقون مصيبات جهنم، «أفرأيتم جزع أحدكم من الشوكة تصيبة والعثرة تدميه والرمضاء تحرقه فكيف إذا كان بين طابقين من نار ضجيع حجر وقرين شيطان».

اللهم إنا نعوذ بك من النار، اللهم إنا نستجير بك من النار، اللهم إنا أمة نبيك محمد صلى الله عليه وآله فلا تحرقنا بالنار، اللهم إن أدخلتنا النار ففي ذلك سرور عدوك، وإن أدخلتنا الجنة ففي ذلك سرور نبيك، اللهم وأنت ونحن نحب سرور نبيك ولا نحب سرور عدوك، اللهم أدخلنا الجنة بغير حساب.

* * *

مصادر التحقيق

القرآن الكريم.

نهج البلاغة: الإمام علي عليه السلام/ دار المعرفة/ بيروت.

الصحيفة السجادية: الإمام السجاد/ مؤسسة الإمام المهدي/قم/الأولى/ ١٤١١هـ.

إقبال الأعمال: ابن طاووس الحسني/ مكتب الإعلام الإسلامي/ قم/ ١٤١٥ هـ.

أمالي الطوسي: الشيخ الطوسي/ مؤسسة البعثة/ قم/ ١٤١٤هـ.

بحار الأنوار: المجلسي/ مؤسسة الوفاء/ بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ.

بصائر الدرجات: محمد الصفار/ منشورات الأعلمي/ طهران.

التبيان في تفسير القرآن: الشيخ الطوسي/ تحقيق أحمد العاملي/ دار إحياء التراث العربي.

تحف العقول: ابن شعبة الحراني/ مؤسسة النشر الإسلامي/ قم الطبعة الثانية/ ١٤٠٤ هـ.

تفسير البرهان: البحراني.

تفسير العياشي: محمد بن مسعود العياشي/ المكتبة العلمية/ طهران.

تفسير القمي: علي بن ابراهيم القمي/ دار الكتاب/ قم/ الطبعة الثالثة/ ١٤٠٤ هـ.

تفسير الميزان: السيد محمد حسين الطباطبائي/ جماعة المدرسين/ قم.

تهذيب الأحكام: الشيخ الطوسي/ دار الكتب الإسلامية/ طهران/ ١٣٩٠ هـ.

عوالي اللئاليء: ابن أبي جمهور الأحسائي/ الطبعة الأولى/ قم/ ١٤٠٣.

عيون أخبار الرضا: الشيخ الصدوق/مؤسسة الأعلمي/ بيروت/ الأولى/ ١٤٠٤هـ.

الكافي: محمد بن يعقوب الكيلني/ دار الكتب الإسلامية.

كشف الغمة: علي بن عيسى الأربلي/ دار الأضواء/ بيروت.

كنز العمال: المتقي الهندي/ مؤسسة الرسالة/ بيروت/ ١٤٠٩ هـ.

مجمع البيان: الفضل بن الحسن الطبرسي/ مؤسسة الأعلمي/ بيروت/ الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ.

مسند أحمد بن حنبل: أحمد بن حنبل/ دار صادر/ بيروت.

مصباح المتهجد: محمد بن الحسن الطوسي/ مؤسسة فقه الشعية/ بيروت/ ١٤١١ هـ.

معاني الأخبار: الشيخ الصدوق/ النشر الإسلامي/ قم.

معاني القرآن الكريم: أبو جعفر النحاس/ مركز إحياء التراث الإسلامي مكة المكرمة/ الأولى ١٤١١ هـ.

مناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب/ المطبعة الحيدرية/ النجف/ ١٣٧٦هـ.

ميزان الحكمة: محمد الري شهري/ دار الحديث/ قم/ ١٤١٦ هـ.

مفاتيح الجنان: الشيخ عباس القمي.

وسائل الشيعة: الحر العاملي/ مؤسسة آل البيت/ قم ١٤١٤/ الطبعة الثانية.

اليقين: السيد ابن طاووس الحسني/ مؤسسة الثقلين/ قم/ ١٤٠٩ هـ.

* * *

فهرست الموضوعات

مقدمة الناشر ٣
تقديم ٥
١ _ التقوى سبيل الفلاح ٧
عبادة إبليس ٨
الأمل بالفلاح ٩
بشرى للشيعة ١٠
٢ _ التقوى سبيل النجاة ١٣
النجاة يوم القيامة ١٣
النجاة في الدنيا ١٣
دعاء يونس عليه السلام ١٤
أوصاف يوم القيامة ١٥
يوم القيامة يوم الحسرة ١٥
٣ _ البشرى للمتقين ١٩
لا خوف عليهم ٢١
الإطار العام هو الولاية ٢٣
من هم أولياء الله ٢٣
الشيعة هم أولياء الله ٢٣

ما هي البشرى؟ ٢٤
المؤمن عند الموت ٢٥
العناوين المبشّرة ٢٦
عناوين للبشرى ٢٧
ما معنى قدم الصدق؟ ٢٨
الجنة هي الثمن ٢٩
٤ _ العاقبة للمتقين ٣١
العاقبة الدنيوية والأخروية ٣٢
ما معنى العاقبة الدنيوية ٣٣
تقدم الإسلام ٣٤
الله مع المتقين ٣٤
٥ _ مقام المتقين ٣٧
دفع التباس ٣٨
المتقون يوم القيامة ٣٨
٦ _ فوائد التقوى ٤١
شروط ثلاثة ٤٣
الفرقان فائدة ثامنة ٤٤
الروح الخاصة ٤٥
خمس أرواح ٤٦
٧ _ التقوى من لوازم الإيمان ٤٩
لماذا تكرر الأمر بالتقوى؟ ٥٠

مراقبة الأعمال ٥١
التقوى من لوازم الإيمان ٥١
انعكاسات التقوى ٥٣
٨ _ التقوى والإسلام والإيمان ٥٥
تعريف الإسلام ٥٦
تعريف الإيمان ٥٧
تعريف التقوى ٥٧
٩ _ الإيمان الأول والإيمان الثاني ٥٩
ثلاث نتائج ٦٠
يؤتكم كفلين ٦٠
ويجعل لكم نوراً ٦١
ويغفر لكم ٦٢
١٠ _ التقوى مبادئ وطاعة ٦٣
حاجة المجتمع إلى مبادئ وقيادة ٦٤
التأكد على الطاعة ٦٤
الإسلام والحرية ٦٥
تقوى الله خلاصة دعوة الأنبياء ٦٦
١١ _ كلمة التقوى ٦٧
هنا ثلاث تأكيدات ٦٧
ما هي كلمة التقوى؟ ٦٨
ثمن الجنة ٦٨

١٢ _ تقوى القلوب ٧١
علامة القلب السليم ٧٢
حضورهم عليهم السلام يوم القيامة ٧٢
التقوى وتأثيرها العملي ٧٣
فضل زيارة أمين الله ٧٤
فضل الكوفة ٧٥
١٣ _ الأساس هو التقوى ٧٧
التقوى مطلوبة في التأسيس ٧٧
مسجد ضرار ٧٨
مراقبة أساس أعمالنا ٧٨
نصيب الشيطان ٧٩
١٤ _ صفات المتقين ٨١
صفات المتقين ٨٢
الصدقة أثناء الصلاة ٨٤
فضل صلاة الجمعة ٨٥
صفات أخرى للمتقين ٨٥
تفصيل آخر في صفات المتقين ٨٧
١٥ _ المتقون هم عباد الرحمن ٨٩
نسبة العباد إلى الله ٨٩
صفات عباد الرحمن ٩٠
الغرف العالية في الجنة ٩١

عباد الرحمن وعباد الشيطان ٩٢
١٦ _ حق التقوى واستمرارية التقوى ٩٣
اتقوا الله ما استطعتم ٩٤
حق الإيمان وحق التقوى ٩٦
علامة المؤمن ٩٦
دوام التقوى ٩٧
١٧ _ الاستقامة على التقوى ٩٩
الأخذ والقوة ١٠٠
الاستقامة في القرآن ١٠١
١٨ _ الحاكمية المطلقة لله ١٠٣
تطبيق الشريعة الإسلامية ١٠٤
١٩ _ دوافع نحو التقوى ١٠٧
١) المحبة من الله للمتقين ١٠٧
٢) انه مع المتقين (المعيّة) ١٠٧
٣) الولاية ١٠٨
٤) القبول منهم ١٠٨
قصة هابيل وقابيل ١٠٩
حقائق كشفها هابيل ١١٠
الحقيقة الأولى: وجود المجتمع البشري ١١٠
الحقيقة الثانية: التقوى شرط القبول ١١٠
الحقيقة الثالثة: حقيقة المعاد ١١١

الحقيقة الرابعة: العدالة الإلهية ١١١
التقوى في كل الأمور ١١١
عيسى يعبر على الماء ١١١
٢٠ _ حوافز التقوى ١١٣
الحافز الأول: الرقابة الإلهية ١١٣
الحافز الثاني: اللقاء مع الله ١١٤
الحافز الثالث: الحساب الإلهي ١١٤
الحديث عن الرقابة الإلهية ١١٥
الحديث عن لقاء الله ١١٧
حقيقة اللقاء ١١٨
رؤية الله ١١٩
بدون حساب ١٢١
أنواع الحاسب ١٢١
الإنسان يحاسب نفسه ١٢٢
٢١ _ موانع من التقوى ١٢٣
دوافع وموانع ١٢٣
الموانع من التقوى ١٢٤
١) الجهل ١٢٤
٢) الإعتزاز بالإثم ١٢٥
٣) الشيطان ١٢٥
التغلب على الموانع ١٢٦

٢٢ _ انعكاس التقوى: الفرد والمجتمع ١٢٩
من هم الصادقون؟ ١٣٠
كيف نكون مع الصادقين؟ ١٣١
التقوى حالة اجتماعية ١٣٢
التقوى مظهر حضاري ١٣٢
التقوى يقابلها العدوان ١٣٣
كل عمل صالح مثال للتقوى ١٣٣
التقوى والبر الإجتماعي ١٣٤
الله يشهد المناجاة ١٣٦
تحية أهل الجنة ١٣٧
٢٣ _ انعكاس التقوى: الأهل والأولاد ١٣٩
دعوة الأهل ١٤٠
مسؤوليات تجاه الولد ١٤١
٢٤ _ انعكاس التقوى: قراءة الواقع ١٤٣
مناشيء الرؤية الإيجابة ١٤٤
ما هي الحسنة؟ ١٤٧
٢٥ _ انعكاس التقوى: الإصلاح الإجتماعي ١٤٩
التلازم بين التقوى والإصلاح ١٥٠
ثواب الإصلاح ١٥١
٢٦ _ انعكاس التقوى: العدل ١٥٣
أولاً: القيام لله ١٥٣

ثانياً: الشهادة بالقسط ١٥٣
ثالثاً: العدل ١٥٤
العدل والعفو ١٥٤
خيار العباد ١٥٥
٢٧ _ انعكاس التقوى: الوفاء بالعهد ١٥٧
عناوين يحبها الله ١٥٧
الوفاء بالعهد ١٥٧
التقوى هي الوفاء ١٥٩
يوم الغدير هو يوم العهد ١٥٩
العبودية لله عهد في أعناق الناس ١٦٠
الوفاء بالعهد أحد صفات المتقين ١٦٠
٢٨ _ انعكاس التقوى: الصدق ١٦١
التقوى والصدق ١٦١
ما هو المقصود بالصدق؟ ١٦٢
٢٩ _ أثر الإيمان والتقوى على الطبيعة ١٦٣
أثر الإيمان في الطبيعة ١٦٣
الإيمان والتقوى ١٦٤
التقوى في كلام الإمام الحسن عليه السلام ١٦٤
٣٠ _ التقوى هي الزاد ١٦٧
مصادر التحقيق ١٧٣
فهرست الموضوعات ١٧٥